المرشد إلى الكلاسيكيات

روس كي





ترجمة : جورج خوري

المرشد الى
الكلاسيكيات



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:

بيروت، ساقية الجنزير، بناية
برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٠/١
تلكس، LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

التوزيع في الأردن:

دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان
ص.ب: ٩١٥٧، هاتف: ٦٠٥٤٣٢، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة الأولى

١٩٩٤

سلسلة كتاب المرشد

المرشد الى الكلاسيكيات

بقلم :

روس لكي

Ross Leckie

ترجمة :

جورج خوري



مقـــدمة

في ايـام علماء دراسات السـلام وحملة درجات البكـالوريـوس (بدرجة الشرف) في المشاركة بالترفيه في الريف هذه لم يوجد ابداً وقت افضل او اسهل لكي يصبح المرء بلّافاً مميزاً في الكلاسيكيات . وبمـا ان اليونـان اصبحت تعني العُطل وايـطاليا السبـاغاتي ، ومـع التناقض المتواصل لأعداد من يعرفون هوميروس او يهتمون بمعرفته ، ومن يعرفون ما فعله بروتوس ، فقد اصبحت فرص البلف المذهل في الكلاسيكيات غير محدودة إلا في خيالك .

في العديد من حالات البلف تخاطر بأن تصـادف شخصاً قـد يكتشف امرك ، اما في الكلاسيكيات فيمكنك ان تثق تمامـاً بعدم اكتشاف امرك شريطة ان تتجنب تناول العشاء في كليات اوكسفورد او كيمبردج ، ويجب ألا يكون ذلك صعباً جداً ، وحتى في تلك الحالة تجد الكثير لمصلحتك ، فأساتذة اوكسفورد وكيمبردج لا يتفقون ابداً على اي شيء ، واذا تمسكت ببلاف مأمون حقاً مثل ارسـطو ، لا يمكنك ان تخطىء اذ لا احد يعرف ما كان يقصده على اي حال ، سواء باليونانية او الانكليزية ، إدّعِ ان افلاطون كان ماركسياً وان ڤيرجيل كان ماسونياً ، وكل من هذين الادعاءين يكسبك وقتاً لا بأس به ، وتأكد من ان تنحرف عن الموضوع ، فاليونانيون كانوا يفعلون ذلك ؛ وكذلك كان الـرومان ، وهـذا الكتاب يفعـل ذلك عمـداً

(احياناً) وكل بلاف كلاسيكي جيد يقوم بذلك ، لأن الاستطراد هو قمة مهمته ، وهو الطريقة التي تجعل معرفة قليلة تقطع اشواطاً طويلة .

خارج العالم الكلاسيكي ، وسواء كانت الكلاسيكيات حقيقة ام مخادعة فإنها تجلب لك احتراماً واسعاً . وكونك مختصاً بالموضوع فإنك تربط نفسك بالوقت الذي كانت فيه بريطانيا امبراطورية ، وتعرّف نفسك فوراً بمغالطات محترمة مثل الديمقراطية والعدالة والحكمة والحرية ، إنك تنمو في القامة وتصبح الى حد ما مخلوقاً مرغوباً فيه وغامضاً للغاية ـ رجل فكر ـ اذ يكون لديك عقل مستعلم وتعرف الألف من الياء ، بل ربما تستطيع ان تتهجأ . وان اقل الناس استنارةِ الذي يجهل بسعادة شونبيرغ او الانطباعيين يمكنه ان يشعر مذنباً الى حدٍ ما اذا لم يعرف شيئاً عن الكلاسيكيات . اخبره شيئاً عن الوجوديين الذين سبقوا سقراط ، وسيحبك من اجل ذلك .

اذهل حفلات الشرب المملة بأن تصحح فوراً أي انسان يبلغ به الطيش لأن يعرّف « الكلاسيكية » او اردأ من ذلك « الكلاسيكية الجديدة » ، لأنك تعرف ان الأولى ليست إلا عجة مصنوعة من بيض يوناني والثانية عجة مصنوعة من بيض يوناني اعيد تشكيله ، إن الأولى مهتمة بشيء اكتشفه اليونان : الفن العاري لكن الثانية اكثر تعقيداً بكثير ، اذ تهتم بنصف العاري . وستؤكد ان الاثنين هما ما تموت منه الثقافة ، لأنهما ترفضان التجديد وتمثلان بصورة مصغرة الانتكاسية التي تملأ سجوننا . واذا كنت في وضع سليم تماماً يمكنك ان تذكر ان اصول الكلاسيكية نشأت بأولئك المؤلفين الذين « قُبلت » مؤلفاتهم في مكتبة الاسكندرية العظيمة في القرن الثاني قبل الميلاد ، والتي احرقها يوليوس قيصر فوراً لأنه كان يعامل كليوباترا بازدراء .

لهذا اخبر مدير مصرفك ان من المرغـوب فيه ان يعيش مثـل كسرى ، وقد يفكر باقراضك المال لقوة شخصيتك ، اعطِ انطباعاً لأولئك المتحدثين بلا انقطاع عن السياسة بانتقاد السيدة تاتشر ، ولا تجعل حديثك عن سويسرا او تاريخ دول البلطيق ؛ ولعمل اقل وتأثير اكثر اجعله عن الكلاسيكيات .

متـــى

يجب ان تعتبر ان من حسن حظك بـأنك ان لم تعـرف الفترة التاريخية التي تقصدها الكلاسيكية لا أحد غيرك يعرفها ، وبالحقيقة يمكنك ان تعمل اردأ من التخصص في هـذا الأمر المـزعج ، فقـد يستمر معك سنوات .

اذا استطعت ان تجد شخصاً بليغاً بشكل كافٍ ، استاذاً جامعياً في الكلاسيكيات (تعرف في اوكسفورد بعبارة « الأدب الانساني ») يقول : « يبدأ العصر الكلاسيكي في وقت ما من القرن الثامن قبل الميلاد ، وينتهي في فترة ما من القرن الثاني الميلادي » فإنك ستحصل عـلى الفكرة العـامة ، اسـأل عن الحادث التـاريخي الذي تبـدأ به الكـلاسيكيات او تنتهي وستتلقى سـاعات من البلف غـير المفهوم بصورة تلفت النظر .

انها لفكرة جيدة دائماً في ان تدخل افكار علاّمة الماني في الموضوع (او في اي موضوع آخر) ويمكنك ان تتأكد من ان لا أحد يناقضك لأن لا احـد يكون قـد قـرأه . استعمـل اسم « ڤـون ڤيليمـوڤتس موليندورف » بصورة موسعة ، انه ينزلق عن اللسان ويبدو جيداً كما ان صاحبه لم يوجد قط ، حتى ولو كان قد وجد فلا أحد كان سيفهم لغته اذا تجاوزنا افكاره عن الكلاسيكيات .

يمكنك كذلك ان تحاول طريقة « الحدود » وهكذا يكون لديك

« طريقة ما قبل وجود شيء ما » و« طريقة ما بعد وجوده » وهوميروس رهان مأمون دائماً على « طريقة ما بعد » . اي ان بامكانك ان تعرّف الكلاسيكيات بأنها قد بدأت بهوميروس او بعده . وبدلاً عن ذلك يمكنك ان تعرّف الكلاسيكيات بأنها « لم تبدأ قبل هوميروس » . واذا كنت راغباً في الايذاء بصورة خاصة « اذكر هيسيود » اي ادخل حد هيسيود في الموضوع . فإننا نعرف على الأقل ان هيسيود قد وجد ، وهو اكثر مما نستطيع ان نقوله عن هوميروس . لكن المشكلة هي اننا لا نعرف حقاً متى عاش .

اذا كانت بداية الكلاسيكيات رديئة فإن نهايتها أردأ ، مد رقبتك وعرّف نهاية الكلاسيكيات بأنها عندما انتاب الامبراطور هدريان (١١٧ ـ ١٣٨ بعد الميلاد) اولع بالحمير والأسوار وسيؤدي ذلك بك في الحال لنوع المواضيع التي يزدهر فيها خيالك واهتمام الناس .

اذا بدأ كل هذا بارهاقك او ارهاق مستمعيك ، فإن لديك رهانين مضمونين تماماً :

١) ان اول هذين الرهانين هو الادعاء بأن الكلاسيكيات « اسطورة » ، ويمكنك ان تقول ان الفترة الكلاسيكية لأثينا ليست إلا الخمسين سنة الواقعة بين الحرب الفارسية (٤٧٩ ق.م) والحرب البيلوبونيسية (٤٣١ ق.م) والسنوات المفقودة تسمح لك بأن تتوسع في الكلام عن عدم دقة التسلسل التاريخي ورهبان العصور الوسطى كما يمكنك دائماً ان تلوم ثكيدايدس ، اغفل سبارطا وكورنتوس وغيرهما من الأماكن المتعبة الأقل اهمية ، ويمكنك ان تدعي بأن تلك السنوات اعطتنا البارثينون واسكيللوس ، وكل ما عدا ذلك هراء . ولهذا الرهان فوائد كونه محدداً وخطأ ومثيراً للجدل .

اما بالنسبة للرومان ، فقل ان فترتهم الكلاسيكية ليست إلا فترة

اوغسطس ابتداء من انتصاره على انتوني وكليوپاترا عام ٣١ ق.م حتى موته وتأليهه عام ١٤ ب.م ومرة ثانية فإن الفترة خمسون سنة تقريباً وتبدو جيدة وانيقة وعلى الأقل تشمل ڤيرجيل .

لّمح الى انك تعرف « السلام الروماني » وتجاهل رأي تاستيوس بهذا الشأن والقائل « لقد صنعوا صحراء ودعوها سلاماً » . ان هذا يدعى تناقضاً وهو صحيح ، لكنه لم يثر اهتمام درايدن او پوپ ولا يقلق السيدة تاتشر لهذا لا يمكن ان يكون هاماً .

أشر بتوسع لقوانين اوغسطس العديدة وهي برهان واضح على ان عصر اوغسطس كان بالحقيقة العصر الكلاسيكي الذهبي ؛ مثلاً :

أ) ان قانون الانحلال الخلقي في عصر اغسطس (١٨ ق.م) جعل الزنا جريمة عامة .

ب) كان هناك القليل من التوالد الشرعي بحيث ان قانوناً سُنَّ عام (١٧ ق.م) جعل الزواج يكاد يكون الزامياً .

جـ) كان هناك الكثير من الانضباط والزهد بحيث ان الامبراطور العجوز اضطر الى اصدار قانون حرّم « الفخفخة المتطرفة » والزهد .

وكل هذه القوانين جيّدة .

اذا فشل كل شيء آخر ، ادخل في حديثك المانياً وبنَفَس مكبوت اذكر كتاب هـ.ب. ماير الهام والضخم وهو مصدرك لكل ما تريد .

ومع ذلك يجب ان تكون حذراً : فقد يكون احد الناس قد سمع بروما الجمهورية ، وربما يكون قد خدعه شيشرون وجعله

يعتقد ان تلك الفترة وليس عصر اوغسطس كانت فترة روما الكلاسيكية . واذا حدث ذلك ، عليك ان تلجأ الى دليل غير مباشر وتوافق على وجود دليل يوحي بأن رومان الجمهورية كانوا حقاً اشخاصاً يعتمد عليهم ، اذكر مثلاً انه عندما قام هينبال الكلي الغلبة بعسكرة جيشه (الفيلة في الحقيقة) عند اسوار روما عام ٢١١ ق.م ليستريح قليلاً قبل نهب المدينة المؤكد قام اولئك الجمهوريون ببيع الأرض التي كان الجيش (الفيلة في الحقيقة) بالمزاد العلني ، فبيعت بالسعر الاعتيادي .

ولكن عند ذلك ابدأ بالبرهان غير المباشر وبعناية وتحايل اشر الى أمجاد روما الجمهورية في الأدب (لم يوجد شيء منه) وفي الفن (لم يوجد شيء منه) وفي الفن المعماري (لم يوجد شيء منه) كانت روما الجمهورية ملأى بالرجال الحكماء المتسامحين - مثل كاتو مراقب الأخلاق فازدهرت الديمقراطية بوجود لجنة المئة التي منح القانون سنته عام (٢٨٧ ق.م) حق الاقتراع للرجال ، ثم لم تفعل تلك اللجنة شيئاً على الاطلاق قبل انقضاء مئتي عام ، عندما عينت سوللا دكتاتوراً عام (٨٢ ق.م) .

لاحظ ان انتصار سيبيو العظيم على انتيوخوس العظيم وامبراطوريته السلوقية عام ١٨٩ ق.م ربما كان قد اعطى روما السيطرة الحقيقية على العالم لكن لا يمكن ان يقال بأنه اعطى « الكلاسيكيات » للعالم . فقد كان الرومان مشغولين الى حد كبير بأشياء أخرى ، كالعبودية فقد استعبدوا ٨٠,٠٠٠ شخص من سردينيا عام ١٧٦ ق.م و١٥٠,٠٠٠ شخص من مختلف انحاء ايطاليا عام ١٦٧ ق.م وهكذا كانوا مشغولين جداً ببناء اسواق للعبيد

بحيث لم يكن لديهم وقت للكلاسيكيات ، وهذا يكفي عن روما الجمهورية .

لكن يجب ألا تقلق كثيراً فيما اذا كانت الكلاسيكيات وجدت في روما في العصر الجمهوري او اثناء حكم اوغسطس اذ لم توجد في اي منهما . وهكذا يصدق قولك الاصلي (بأن الكلاسيكيات مجرد اسطورة) ، ويعرف هذا بالسفسطة ، وهي تصلح في هذا الشأن .

٢) اما رهانك الثاني فهو الادعاء بأن « الكلاسيكيات لم تمت قط بل ما زالت حية مثل قتال الكونترا من اجل الحرية في نيكاراغوا » وأنها في بداية جنة عدن ، وفي سنوات رئاسة ريغان وان السلام سيأتي ، الى غير ذلك . ان هذا سيتيح لك ان تبدو فيلسوفاً الى حد ما ، وبلّافاً كلاسيكياً يفرض آراءه بالقوة .

انك بالطبع لم تجب عن السؤال « متى ؟ » لكنك تعزي نفسك بتمتمة كلمات زيناس من سارديس : « ان الصدام بين الذي يصدّقون كل شيء والذين يرتابون بكل شيء يجب ان يستمر لمصلحة الاعتدال الذهبي الناتج عن ذلك .

أيــن ؟

ان افضل مناورة تلجأ اليها ، كما هو الحـال دائماً هي منـاورة جريئة . انكر بصورة قاطعة ان عالم الكلاسيكيات كان اليـونان او ايطاليا ، واعمل ذلك لمرة واحدة عالماً انك على حق . ادّعِ ، دون ان تكون غير معقول الى حد كبير ، ان عالم الكلاسيكيات امتد من اسكتلندا الى سور الصين العظيم (تقريباً) مع ان ذلك لم يتم في نفس الوقت .

اليونــان

اكّد لمستمعيك المتشين ان « اليونان » لم توجد قط . ولم تكن إلا مجموعة متنافرة من دول المدائن المستقلة المتشاحنة ـ آثينا ، سبارطا ، طيبة ، ارغوس ، كورونثوس ، وهكذا ـ التي قضت معظم اوقاتها في اثارة المشاكل لبعضها البعض . والمرة الوحيدة التي اتفقت فيها كانت للألعاب الاولمبية مرة كل اربعة اعوام (تأسست عام ٧٧٦ ق.م) حين كانت تلك المدن تتنافس بشراسة ويركض رياضيوها اما بكامل دروعهم او عـراة ليكسبوا اكـاليل من اوراق الـزيتون . لم تـوجـد مباريات فرق ، كما ان المتنافسين بالتأكيد لم يتبختروا بسترات مزركشة فضفاضة ؛ اذ لم يكونوا قد شاهدوا فيلم « عربات النار » .

كانت لهذه الولايات المدينية ممارسات وآلهة وقوانين مختلفة ، وكانت لغاتهم ولهجاتهم مختلفة الى حد بعيد بحيث ان الكلمة الانكليزية التي تعني قواعد اللغة الضعيفة «Solecism» مشتقة من اهالي « سولي » Soli وهي مستعمرة اثينية كانت لغتها غير مفهومة لأحد وخاصة لأهالي اثينا .

كان لجميع تلك المدن اعداء شرقيون هم حكام ولايات فارسية يتجولون وكل منهم يحمل ساطور جزار ، حتى آنذاك لم تستطع تلك المدن ان تتحد ـ وعندما انزل داريوس كبير حكام بلاد الفرس (٥٢١ ـ ٤٨٦ ق.م) جيشه العظيم في ماراتون عام ٤٩٠ ق.م مصمماً على إبادة اليونان ، لم يستجب لنداء اثينا المحرجة بطلب العون إلا البلاتيون الفقراء .

ارسلت اثينا عدّاء اسمه فيديبيدس لطلب المساعدة من سبارطا لكن السبارطيين كانوا مشغولين بأحد احتفالاتهم الدينية وقالوا انهم ربما يأتون فيما بعد ، أتوا بالفعل لكن المعركة كانت قد انتهت ، على انه نتج عنها بعض الخير ، فإن فيديبيدس الذي ركض ١٢٠ ميلاً ليصل الى سبارطا في يومين قد اعطى المتلذذين بتعذيب الآخرين لهم والفنلنديين المخبولين « سباق الماراتون » وتراءى له اله الغابات والمراعي والرعاة اثناء ركضه .

اذا كان مستمعوك واسعي المعرفة ربما تجاسر احدهم بتحدي فرضيتك بأن يشير الى التحالفات غير الرسمية التي لم تكن « اليونان » بل خرائب ـ كتحالفي ٥٠٠ ق.م و٤٧٨ ق.م . ان هذا المتبجح الذي لا يخجل قد يزعم ان « اليونان » وجدت بالفعل في هذه التحالفات ، على انك يجب ألا تضطرب ، فقد استعملت هذه التحالفات من قِبل مؤسسيها كما يستعمل بعض السياسيين

البرلمانات ؛ ولم تستمر طويلاً .

كان اخاء التحالف البلبونيسي قوياً بحيث أنه إن لم توجد حروب مع تحالفات اخرى فإن اعضاءه كانوا احراراً حسب النظام الأساسي بأن يحاربوا بعضهم البعض وعندما دعي لاجتماع التحالف الديلي لبحث اعادة بناء معابد اليونان (التي كانت قد دمرت اثناء الحرب الفارسية) لم يحضر احد ـ تماماً كالأمم المتحدة حالياً .

لقد بحثت بما يكفي مـا يتعلق باليـونان ، ولكن اذا احتجت اليهم فإن لديـك حجتين اخـريين لا يمكن التغلب عليهـما ، وهما المستعمرات وسبارطا .

الجاليـــات

ان « العصر القديم » (٧٧٦ ـ ٥٠٠ ق.م) شاهد كل مدينة قد تغيرت كخلية مغايرة لأصلها ، واكثر هذه المدن تغيراً كانت المـدن البحـرية التي كـانت مساحـة الواحـدة منها لا تـزيد عن مسـاحـة لايختنشتاين ـ كورنثوس ، ميغارا ، تشالسز وايجينا ؛ أشر بالطبع الى قول المؤرخ هيرودوتوس « كانت اليونان والفاقة اختين بالرضاع » وهو القول الذي يثبت على الأقل ان بعض الاشياء لا تتغير .

مع توالـد هذه المـدن ، بصورة شرعيـة ام لا ، احتاجت الى اراض اكثر ؛ فقامت سبارطا بانتزاعها من جيرانها اما المدن الأكـثر لطفاً فقد كانت اكثر حساً ، فعمدت الى طرد مجموعات كبيرة من مواطنيها الأعزاء ، وهذه الجاليات انتشرت في فرنسا واسبانيا ومدينة قورينا (الاغريقية) باسم « اليونان الكبيرة » ولا بد ان يوجد مغزى في ذلك .

لكنك لم تجد اليونان حتى الآن ، ويعود ذلك الى انه حتى في عام ٦٠٠ ق.م كان بعيداً عن الدقة ان تصف « اليونان » بأنها اليونان ، مثلما هي الحال عندما تدعو امبراطورية آل هابسبورغ ڤيينا ؛ وقد جعل الاسكندر الكبير الأمر اكثر صعوبة بتوسيع حدود « اليونان » الى الهند . وحدّت الممالك الهلينية فتوحاته الى ان استولت عليها الفاشية الرومانية ، آسف الكلاسيكية الرومانية رغم ان هوراس قال : « ان اليونان الأسيرة اسرت فاتحها الشرس وادخلت الفنون الى بلاد اللاتين الساذجة » ـ وقد صدق لمرة واحدة .

سواء كان الأمر ذا صلة بالموضوع ام لا ، يجب ان تمجّد وجهة نظر هوراس هذه . تذكر انك بصفتك بلّافاً كلاسيكياً سيكون لك حق الانتفاع بحكم اي شك وسيفترض الناس بصورة لا تتغير بأن وجهة نظرك معقدة وليست غير ذات صلة بالموضوع ما لم تكن شديد الغباء بشأنها ، واذا اضطررت بتردد الى الموافقة على ان العالم الكلاسيكي كان في مكان ما ، قد « كان في اليونان ، حيثما كانت ـ ربما كانت اليونان في جالياتها ، وربما كما يلاحظ هوراس كانت في روما حيث كان كل شيء يونانياً باستثناء القانون والطرق المرصوفة المستقيمة » لأن البلافين الماهرين في الكلاسيكيات يجب ان يتقنوا الطريقة الكلاسيكية التقنية بعدم ذكر اي بيان عندما يكفي توجيه سؤال .

وكطلقة أخيرة ، يجب ان تؤكد بالحجة بأنه حتى عندما سقطت روما على ايدي البرابرة في القرن الخامس بعد الميلاد ، استمرت « اليونان » لعدة قرون اخرى بصورة الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) . يجب ان يكون ذلك صحيحا ، إذ يقول هذا ، ذلك الشخص العظيم البارون ڤون او زو أسّ ڤو واخندورف ، في مكان ما .

سبارطا

اخيراً تتجول الى سبارطا واذا ما وجد دليل على ان مدائن « اليونان » كانت غير اعتيادية لتكوين اي شيء ، اذا تجاوزنا عن اليونان ، فإن سبارطا وهي دولة لم تستطع ان تعرض اية خاصية نعتبرها « يونانية » او اية خاصية نعتبرها « كلاسيكية » : اذ لم تنتج اية مفكرين او معابد او مسرح او ديمقراطية او أدب ولا حتى الزهرية الغريبة ، وبالتأكيد لم تنتج كحولاً .

لا بد وان تفوز بذلك ما لم يكن شخص ما (وهذا غير محتمل) قد سمع بمؤلفيها التافهين بترتايوس والكمان . فقد كتب الأول مادة طنانة سخيفة بينما نظم الثاني شعراً لأعداد نساء سبارطا للزواج قائلاً : « اطعن وانجبن » - اهملهما .

عد الى موضوعك ، فإن سبارطا تجعل رايخ هتلر يبدو كجمعية خيرية ، كان مجتمعها مكوناً من ثلاث طبقات بسيطة ؛ رجال سبارطا الحاكمين (حوالى ٤٠٠٠) والارقاء وانصاف الارقاء . ليس للسيد غاندي شيء يزعجه على الاطلاق .

تخلت سبارطا عن التجارة والاتصالات الاجنبية ، وكرست نفسها لتربية وتدريب الجنود بطريقة كانت تقتل معظم الاناث عند ولادتهن وتترك جميع الذكور في الخارج عراة لليلة او ليلتين ، والذين كانوا يظلون احياء ، كانوا يعتبرون مستحقين للتدريب وفي الوقت الذي كانت فيه الدول اليونانية الأخرى تداعب الديمقراطية ، عززت سبارطا الملكية . كما منعت المهاجرة من البلاد او اليها ، وعلى جنوب افريقيا ان تسير طويلاً في هذا المضمار لتلحق بسبارطا .

علّق أحد المترفين على الوضع في سبارطا قائلاً : « الآن افهم

لماذا لا يخاف السبارطيون الموت » كما ان زائراً آخر ووجه بزبدية من المرق السبارطي قال : « انك بحاجة الى معجزة لتتمكن من تناوله » وبعد حصار طويل استسلم البلاثيون للسبارطيين بشرط « ان يخضعوا للسبارطيين كقضاتهم الذين سيعاقبون المذنبين ولكن لا احد بشكل ينافي العدالة » كانت فكرة السبارطيين عن العدالة (وهي شيء كان من المفروض ان اليونانيين مهتمون به) هي ان يسألوا كلاً من البلاثيين ان كان قد عمل شيئاً اثناء الحرب لمساعدة سبارطا ، فذكّرهم ناطق بلسان البلاثيين بأنه سيكون من الغريب ان يكون احدهم قد ساعد سبارطا اذ انهم كانوا اعداءهم ؛ فقام السبارطيون في الحال بقتل جميع الرجال وأسروا النساء ودمروا المدينة بكاملها !

انك توافق على ان سبارطا كانت في « بلاد اليونان » لكنها لم تكن يونانية ولهذا لم توجد « بلاد اليونان » ان هذا هراء ، لكنه يبدو منطقياً الى حد صغير لا يدرك ، لهذا فهو مقبول ظاهرياً ؛ جرّبه على اي حال .

ايطاليا وروما

ان حجتك بالنسبة لايطاليا هي أبسط كثيراً لحسن الحظ ؛ يمكنك بالطبع ان تؤكد ان « مكان » العالم الكلاسيكي الروماني كان من البحر الى البحر ، وخلف كل شجيرة ، يمكنك ان تشير الى الجلال الذي لا حد له للسلام الروماني ، ولكنك لن تفعل ذلك لأنك تعرف اذا لم يعرف الآخرون ان كل ما فعله الرومان هو بناء الطريق الغريبة ، وارسال بضعة فيالق ، والتغلب على الفلاحين الباقين ونفي احد تعيسي الحظ من روما لادارة المكان . انك ،

نفســك ، كنت ستتعب من المعيشـة في الأنــدلس ومن ثقــافــة سيرجوڤيوم .

أيّد روما بقوة ، على نحو لا يخطىء . فلا احد ذا شأن رغب في ان يكون في اي مكان آخر ، وكان تعيين شخص ما بمركز خارج روما يشبه تعيين مسؤول بريطاني الآن ليعمل في ويلز . على ان كل شيء كلاسيكي فعله الرومان سرقوه من اليونان (باستثناء القانون والطرق المرصوفة والمستقيمة) لكن مركز الـتزوير كـان روما دائـماً . كانت ايطاليا في عصر « ما قبل المعكرونة » والروماني الحقيقي كان لا يهتم بـايطاليـا إلا بالـروح . وبالنسبـة للروماني كـانت الحيـاة « لـرومـا والعالم » .

لم تكن الامبراطورية العظيمة إلا :

أ) مكاناً لقضاء عطلات نهاية الاسبوع غير النظيفة (شاهد مغاور نيرون ورسوماتها الجدارية القذرة) .

ب) مصـدر الأموال والعبـودية والممارسـات الشـاذة الـلازمـة للحيلولة دون سقوط روما .

وهكــذا تجيب عـن السؤال القــائــل : « أين كــان العــالم الكلاسيكي ؟ » بوضوح مثالي مشوش : لم يكن في اليونان ، التي لم توجد ، ولم يكن في ايطاليا او الامبراطورية لأن ايطاليا والامبراطورية كانتا روما ولم يكن في روما لأن روما كانت اليونان .

لا بد وان قولك هذا سيسكت الجميع باستثناء اكثرهم عناداً ، وعندها تقول له ، مغيّراً وسيلتك تماماً : « ان العالم الكلاسيكي كان حيث كان الانسان يتساءل « أين أنا ؟ » « لماذا انا هنا ؟ » « ما الذي اعمله ؟ » « مـا هو الخـير ؟ » ، وحيث حـاول اولئـك المتسـائلون

الافصاح عن ذلك بشكل من الفن الاباحي او بطريقة اخرى » .

يجب ان تتظاهر بالرزانة المدروسة هنا ، لأنك تعرف ان عجزنا المعاصر عن توجيه اسئلة كهذه ، ناهيك عن الحصول على الأجوبة الصحيحة ، يعتبر علامة عار وغير ملائم لكل شيء كـان مجيداً في العالم الكلاسيكي . رغم بدلاً عن ذلك ببهجة البحث عن المعرفة ، والكمال لكل شيء حيث يـوجد العـالم الكلاسيكي : اقتبس قـول سـوفـوكليس « ان العجـائب عـديـدة ، لكن اكـثرهـا عجبـاً هي الانسان » .

مـــن؟

ان « اشخاص رواية » العالم الكلاسيكي ينقسمـون بدقـة الى ثلاثة اقسام :

١) أولئك الذين لم يوجدوا بالتأكيد
٢) أولئك الذين وجدوا تقريباً
٣) أولئك الذين وجدوا بالتأكيد لأنهم الآن اموات .

وهذه الفئات معروفة للكلاسيكيين ، بصورة مربكة بعبارات . الآلهة ، وانصاف الآلهة ، والرجال .

رغم ان هـذه القـائمـة لا تكـاد تكـون شـاملة ، ونمــوذجيـة وموضوعية ، إلا انها كافية لإنجاح اي شخص يزيد معامل ذكائه عن ١٠ تحت الصفـر في اي موقف بـاستثناء الاجتماع السنوي العـام للجمعية الكلاسيكية . وهي تحتوي عدة اسماء معلمة بالحرف « ب » والتي يجب ان يركز عليها البلاف . لقد اجتازوا كل امتحان بكونهم ذوي فائدة جامحة لتوضيح اية نقطة مهما كان نوعها ، اذ ان الشيء الوحيد الذي يعرفه اي انسان عنهم هو انها لا يعرفون شيئاً . هل هذا واضح ؟

الآلهـــة

ان كلمة البلاف الحيوية في هذا المجال هي ان الآلهة مجسمون

اي متصورون بأشكال او بصفات بشرية : اي ان الهة اليونان والرومان كانوا يسكرون ويزنون وبوجه عام لم يكونوا الهة بل بشراً ، وقد التقط الشاعر زيتوفيتس (ازدهر عام ٥٤٥ ق.م) الفكرة العامة عندما لاحظ ان الحمير لو كانت ديّنة فإنها ستتصور الهتها بشكل حمير . قد يبدو هذا القول حصيفاً ، لكن زينوفينيس كان يعرف كما يجب ان تتذكر انت شيئاً عن الحصافة وهي انها ليست شائعة .

اما كلمة البلاف الثانية فهي الثنائية تذكر ان ثنائية القدماء بشأن الآلهة كانت مثل بلاد الغال زمن القيصر ثلاثة (على الأقل) ولم يقم اليونان او الرومان بتمحيص الفكرة ، وذلك لأن :

١) الهتهم كانت من ناحية الهة حقاً ومع ذلك ، من الناحية الأخرى كان يمكن ان تكون بشراً .

٢) الآلهة الأولمبيين كانوا من ناحية هم المسيطرين ، ولكن من ناحية اخرى كان للمجموعة الأخرى من الألهة مثل كرونوس دوراً تعلبه .

٣) القدماء (وخاصة اهالي الريف غير المتنورين) ظلوا يعبدون كل الأنواع المحلية الغامضة من الالهة والحوريات وحوريات البحر وغيرها ومع ذلك لم يكونوا يقدمون لها إلا التملق .

والأمر يشبه كون اسقف ديرام هو بالاضافة الى مركزه الدلاي لاما ، وآية الله ، ومشعوذاً يؤمن ببعض الأبيات الريفية ويبقى ملحداً ، ان كل ذلك مربك حقاً لكن ما يدعى بالثنائية مادة ممتازة للبلف .

كما توجد نقطتان اخريان من المجادلة المثمرة والمثيرة للإعجاب متاحتان لك في هذا المجال :

١) ان تصبح حماسياً الى حد الافراط بشأن طاقة العالم الكلاسيكي للايمان بعدة الهة والتسامح وقارنهما بصورة ايجابية بالتوحيد الحالي وعدم التسامح . ان الاضطهاد الديني والتبشير والاكثريات الاخلاقية والحروب الصليبية لم تكن كلها معروفة في الزمن القديم قبل نيرون (الذي كانت كراهيته للمسيحيين ناتجة عن اي شيء غير الديانة) .

تحدث بايجاز اما عن الانجازات النسبية للموقفين (احدهما اعطانا معبد الپارثينون والآخر « المركز الوسط » ، الى غير ذلك) او عن اغرب الديانات العديدة والطوائف ذات الطقوس العربيدة للعالم الكلاسيكي ، عن الاورفيه وايزيس واوزيروس والمثراسية والالغاز الالوسية وهكذا ، ووجهة نظرك بالطبع هي انه رغم تنوع وتباين الديانات والطوائف الكلاسيكية إلا ان الناس كانوا مع ذلك ينهضون من فراشهم في الصباح ويظلون احياء .

٢) اما خيارك الثاني ، اذا ما قبلته ، فهو لافت للنظر ومثير للجدل ، ولمصلحته على اي حقيقة وجود بعض الدلائل التي تسنده وليس فقط كتاب جيه . سي بولكشتاين الضخم (الذي نشره عام ١٩٣٦) .

ان الخيار يستلزم الانكار الكلي بأن العالم الكلاسيكي كان يعتقد بالله او بآلهة على الاطلاق (وامتداداً لهذه الحجة ليس الاصرار على ان العالم الكلاسيكي لم يؤمن بشيء ابداً ، اذ بصفتك بلّافاً كلاسيكياً فإنك تعرف ان العدمية متعفنة لأن اي شخص يقول انه لا يؤمن بشيء يكون قد قال بأنه يؤمن بشيء ما) .

ركز على التناقض القائل : « عند قلب العالم الكلاسيكي

النـابض وجد البحث الـذي لا يتـوانى عن « اللوغـوس » (المبـدأ العقلاني ، المنطق ، النظام ، المعنى ، القصد ـ عبـارة يونـانية) او « الريشية » (خط مستقيم ـ عبارة رومانيـة) لكننا نعتقـد ان نفس الباحثين هؤلاء كانوا يعبدون ويؤمنون بآلهة كانت تتدشأ وتزني وتقتل وتتصرف بشناعة الى حد ما ، او كانوا يعبـدون ويؤمنون بجنيـات الاشجار وامهات الأرض وهكذا . فكيف كان ذلك ؟

تجاهل حقيقة كون اليونان والرومان يجعلون هذا الهراء مفهوماً ؛ اعد المدفعية ، فقد كان افلاطون يعتقد ان « الآلهة » كان يوجدها الشعراء الذين يجب ان يبادوا معهم . احفظ غيباً واقتبس سطرين من الشاعر اوڤيد :

« من المناسب ان توجد الهة ، وبما ان ذلك منـاسب ، دعونـا نعتقد بوجودها » .

كما ان ڤولتير المسنن كان : « لو لم يوجد الله لكان من الضروري اختراعه » .

استطــراد

اشر الى ان هذا البيت سداسي التفاعيل وجيـد الى حد كبـير (ستأتي الى قيد بارع الايجاز ومفهوم وغير صحيح الى حد كبير عن بحور الشعر في القسم المعنون « كيف ؟ ») ولكن اذا لم تقرأ اكثر و(ب) سـألك شخص مـا ، يجب ان تعرف ان البيت السـداسي التفاعيل هـو بيت من ست تفاعيـل لم تتحول حتى الآن الى نـظام التفاعيل المترية خلافاً لتوجيه المجموعة الاقتصـادية الاوروبيـة رقم ٢٢/١٦٧,٢٥٩,٩٩٣,٧٦٥ وان التفعيلة لا تـرتبط إلا عن بعـد

بالزواحف الطائرة المنقرضة وتتكـون الوحـدة العروضيـة من مقطع طويل ومقطعين قصيرين . ومن بين كلمات اخرى فإن كلمة « الجبر » تفعيلة رغم انها لا تظهر الا نادراً في الشعر .

تمسك بعرض معرفتك الواسعة بأن تشرح بأن التفعيلة باليونانية مشتقة من كلمة تعني « الاصبع » ومعظم الاصابع (باستثناء اصابع الاجلاف الذين يشغلون منصات النفط البحرية وتكون اصابعهم قد قطعت) لها ثلاثة اقسام ـ وهكذا التفعيلة .

يمكنك ان تستطرد ثانية بالحديث عن السرقة الادبية وعن كون ڤولتير دجالاً . . . ولكن لنعد الى الالهة .

اعلن ان العالم الكلاسيكي كان يعتقد بالالهة مقدار اعتقاد كارل ماركس بها ، وقد اعلن معظم الاباطرة الرومان انفسهم الهة على اي حال كما ان القـدماء النـاجحين حقـاً مثل الابيقـوريين والفـلاسفة الكلبيين (الذين كـانوا يعتقـدون ان الفضيلة هي الخير الأوحـد) والرواقيين تجاهلوا الالهة كلها ؛ وفي اثناء ذلك وعندما اصبح العالم الكلاسيكي طاعناً في السن . فإن القضاء والقدر والحظ والعجرفة وجميع انواع القوى المجردة اختلطت بالآلهة وحلت محلهـا وجعلت الصورة تبدو اكثر سريالية .

وهكذا يمكنك ان تحـاول ان تثبت ان العالم الكـلاسيكي كان ملحداً ، وهذا كما تذكر هو خيارك الثاني . ربما لا تكون قد برهنت هذا اطلاقاً ، بل ربما تكون قد برهنت العكس تماماً ولكنك تكون قد اثبت ان قضية المواقف الكلاسيكية تجاه الآلهة تمثل نوعاً من التعقيد الذي كان القدماء يجدون متعة كبرى فيه والذي يضيع فيه العصريون (باستثناء البلافين مثلك) ضياعاً مخيفاً .

افروديت

آلهة الحب والخصوبة والجمال والبغاء عند اليونان وتدعى ڤينوس عند الرومان ؛ ولدت في البحر واسمها رومانتيكياً مشتق من كلمة « افروس » اليونانية التي تعني الزَبَد . ولإعطاء فكرة طيبة عنك يجب ان تركز على مركزها كآلهة للحياة النباتية ورعايتها للفجور .

يجب ان تؤكد على أهميتها وهي عارية للفن اليوناني والروماني والفن اللاحق . والتمثال الذي نحته ڤراكسيتيكس في القرن الرابع قبل الميلاد وهي تلقي بردائها على جرة فخارية قبل ان تستحم هو اول تمثال عارٍ مقنع ويجب ان يكون المنغمسون في اللذات شاكرين لها . وڤينوس « ميلو » سيطرت على خيالات اجيال من الطلاب بعضهم الآن وزراء . كما ان بوتيسللي (١٤٤٤ ـ ١٥١٠) وغيره من الفنانين بيّنوها كثيراً ، اما عارية تماماً (الاسلوب الكلاسيكي) او عارية تقريباً (الاسلوب الكلاسيكي الجديد) .

اپــولو

أعطي اسمه لبرنامج فضائي مكلف الى حد غير معقول اثبت ان الأمريكيين الذين يستطيعون العد تنازلياً الى الصفر هم ابطال . كان الـه جميع انـواع الاشياء ـ المـوسيقى ، الرمـاية بـالسهام ، التنبؤ ، الطب ، العناية بالقطعان ، القانون والفلسفة ـ لا بد وانه كان رجلاً مشغولاً .

كانت كورونس ، سايرين وكاساندرا من بين فتوحاته ، كما انه ذبح مردة وتنانين الى غير ذلك . ويصور عادة وبـدون نهاية عـارياً وممسكاً بقيثارة او قوس .

اريــــس

اله الحرب ؛ ابن زيوس وهيرا ، خلّف عدداً مذهلاً من الابناء غير الشرعيين . مع افروديت انجب ريموس ، فويـوس ، راوت ، فيار ، ايروس ، انتيروس وحتى هارمـونيا ، وبـالاضافـة الى كونـه شهوانياً ، فهو غبي بوجـه عام ومن الأفضـل ان يتجاهله البـلاّف الجدي . على ان الرومان كعادتهم ، عظّموه كثيراً باسم مارس .

ارتميـــس

ان كل ما تحتاج لأن تتذكره حقاً هو انها كانت بشكـل حيوان وبهذه الصورة كان اليونان يعبدونها . ابنة زيوس واخت ابولو وسيدة الاشياء البرية . لم تقدم لها الماعز فقط كذبائح بـل حتى العصافـير الدورية كذلك .

عندما صادفها اكتيوس بن ارستايوس عارية استاءت وحولته الى وعل طاردته الكلاب وقتلته .

ان دهشة ارتميس من تدخل اكتيون اعجب بها كل من تنتورتو (١٥١٨ ـ ١٥٩٤) وتيتيان (عام ١٥٧٦) وفي قصيدته ادونيس جعل شللي القصـة جميعها معقـدة للغايـة باعتبـاره ارتميس تمثل الـطبيعة واكتيون عقلها والكلاب افكارها ـ ويجب ان توصي بها كعلاج مثلي للأرق .

اثينــا

الالهة الحامية لاثينا ، كانت حكيمة ولطيفة ونشيطة الى حد لا

يطاق ، كما كانت مهتمة بأشياء الحياة الأكثر اناقة كالغزل والنسيج ، وهي لم تولد لكنها قفزت كاملة التسليح من رأس زيوس . اراد هفياستوس ان يتزوجها فقال له زيوس بأن باستطاعته ان يحاول ذلك لكنها لم تعطه إلا القليل من التشجيع ؛ كما انها تغلبت على پوسيدون كذلك . من الغريب ان الالهة اثينا لم تجد تعظيماً اكثر من جيرمين غرير . والبلافات يجب ان يكن حذرات اذا ما وصفت احداهن بأنها « اثينا حقيقية » ، ويجب ألا يفسرن هذا القول مهما كانت الظروف او الاضاءة بأنه اطراء .

أطلـــس

يجب ان يعلن البلافون البارعون بأن الجبابرة الأقدم ، التيتانيين ، اكثر متعة بكثير من الالهة الجدد مثل زيوس . كان زيوس جباراً جيداً جداً ، اذ كان يدعم اعمدة السماء بصبر قبل صدور كتاب « تاريخ موجز للزمن » وجميع ابنائه اتصفوا بالطيبة : كاليبسو ، الهسبريدس والبلايدز . ومعنى اسمه كثير الاحتمال وهذا صحيح تماماً ، ونحن مدينون له بالجميل .

باخـــوس

المعروف ايضاً باسم ديونيسوس ، اله الخمر والخصوبة . بدأت حياته بصورة رديئة ، فقد انجبه زيوس كمجرد كائن فانٍ « سميل » . فانفعلت هيرا زوجة زيوس وجعلت احدى صواعق زيوس تلتهم سميل لكن زيوس انقذ الجنين من بين رماد والدته والصقه بفخذه ، حيث ولد باخوس بعد حمل اعتيادي .

يجب ان يعـرف البلافـون عن شرب باخـوس لكنهم يجب ان يركزوا على طقوسه العربيدة . كان متخصصاً في جعل النساء يفقدن عقولهن وفي الايحاء لهن بتقطيع الناس الاحياء ثم اكلهم . واحدى هذه الطقوس العربيدة موصوفة في رواية يورييدس « الباخاي » .

قضى باخوس معظم حياته العاملة محاطاً بنساء شهوانيات أُطلق عليهن اسم « مينادس » ، وكن معتوهات بوجه عام ومعتوهات بوجه خاص .

استمرت طقوسـه العربيـدة ، التي عرفت بـاسمه ، في العـالم الـرومـاني . وكـان عـلى مجلس الشيـوخ الـرومـاني ان يتخـذ عـام ١٨٦ ق.م اجـراءات خاصـة لقمعها وقمـع مـوجـة الاجـرام التي ترافقها ـ وهذا مثال على الاستمرارية في الكلاسيكيات .

كرونــوس

ملك التيتان الجبابرة الذين سبقوا الهة الاولمب ، عرفه الرومان باسم ساتـورنوس وهـو موضـوع واسع للبـلافين . تـرأس العصر الذهبي ؛ ورغم ان كرونوس كان يبتلع أولاده عند ولادتهم، الا ان اصغرهم ، زيوس ، كان من مادة اقوى واطاح بوالده (في الحقيقة قامت « ريا » زوجة كرونوس باعطائه حجراً ليبلعه بـدلاً من ابنه) وهذا مثل على كون الكلاسيكيات دائمة الصلة بالواقع : اذ يجب على الرجال ألا يثقوا بالنساء ، وان ينظروا بعناية اكثر لما يعطى لهم .

من المؤكد انه يجب عليك ان تنحاز للتيتان بوجه عام ولكرونوس بوجه خاص ، استعملهم للتقليل من قيمـة جميع الأمـور السوقيـة كالألعاب الاولمبية ، والمساواة والموسيقى الشعبية بأن تقول بأن جميع الفساد عندما اطيح بالتيتان .

هيــرا

يعرفها الرومان باسم جونو ، كانت امرأة فاسدة قبيحة مـاكرة وكان عليها ان تعيش مع زيوس ، وصدف انها كانت اخته ، وهي حقيقة عديمة الذوق . صرفت معظم اوقاتها بالقضاء على عشيقات زيوس واولاده غير الشرعيين لهذا كانت مشغولة الى حد ما ، والشيء الوحيد الذي يجب ان تحبه عنها هو انها لم تحب اينياس .

ميركــوري

او هـيرميس بالنسبـة لليونـان ، كان إلـه التجارة واللصـوص الموجودين حالياً في سوق الأوراق المالية . واسمه اليوناني مشتق من كلمة تعني العفريت الذي يكثر التردد كشبح على كومة من الحجارة ، وهذا اكثر الأشياء التي يمكن ان تقولها عنه اثـارة . اخترع القيثـارة وسرق ماشية ابولو ، ولأن الالهة الآخرين لم يستطيعوا ان يفكـروا بادارة غير تنفيذية له ولكونه كسولاً الى أبعد الحدود فقد كانوا يرسلونه في مهمات الى الدكان الذي على زاوية الشارع ليبتاع لهم السجـائر واشياء مماثلة .

پــان

كـان پان ، مثـل بـاخـوس ، فتى من الـطراز الأول رغم ان هيرميس كان ابـاه ، كما كـانت امه مجهـولة . قضى وقتـه في جعل القطعان خصيبة ، وربما كان هذا هو السبب في كونه نصف انسان ونصف ماعز كما كان مفطوراً على الحب ـ ولم يكن مناسباً للتهجين ـ

وقد رفضت الحورية « ايكو » عروضه لهذا جعل بعض الرعيان مجانين فقطعوها ارباً ، ويشير الكلاسيكيون الى هذه الواقعة بأنها « الانشودة الرعوية » .

پيرسيفوني

كانت بنتاً ، يجب عليك ان تحترمها وربما تنسب اليها صفات مثالية لأن قصة حياتها تخبرك كل شيء انت بحاجة لمعرفته عن الحياة والموت . ولن تسمع قصة مثلها حتى في احد بارات دبلن .

ان الأدب الجيد والفن بوجه عام مليء بها . اذكر ، عَرَضاً ، قصيدة غوته المعنونة « پروسيرپينا » التي نظمها في اواسط السبعينات من القرن الثامن عشر ، وقصيدة شيللر « شكوى سيريس » وقصيدة شيللي بعنوان « أغنية پروسپيرين » . حتى اوبرا سترافنسكي التي ألّفها عام ١٩٣٤ هي عنها كذلك ، او هكذا يفكر بعض النقاد ، عندما يفكرون .

تزوجت پيرسيفوني ، بتردد ، « هيدس » (المعروف لدى الرومان باسم « پلوتو ») اله الجحيم عندما اختطفها الى هناك وعندها اصبحت الأرض عديمة الخصب احتجاجاً ، فوسطت امها ، ديمتر ، لجنة المصالحة والتحكيم فسمح لابنتها بأن تسترجعها الى الطابق العلوي لثلث السنة ، وعندها عادت الأرض لغملها المعتاد .

زيوس

زائف تماماً ، لم يخلق الهة او رجالاً وهو مدين بشهرته الى

هوميروس الذي لا بد وانه كان يسعى للحصول على لقب « سير » ، ثم امسك به اسكيللوس وجعله فاضلاً وعادلاً وعلى وجه العموم عمل له ما عملته شركة ساتشي (للعلاقات العامة) للسيدة تاتشر . على انك لا تخدع بذلك .

جعل زيوس نفسه كبير الهة دون حقيبة وزارية لهذا كان حراً للاستمرار باهتمامه الواضح الوحيد : الفسوق وقام بذلك بشيء كثير من رباطة الجأش ، بابتلاع عشيقاته اللواتي كان يتعب منهن ، اذا لم تكن هيرا قد تخلصت منهن من قبل . لقد مثّل بصورة مصغرة رجال عصر النهضة ، الذين كانوا يتصرفون تصرفاً مماثلاً .

كان تخصصه التنكر ، اظهر اعجابك برسم مايكل انجيلو (١٤٧٥ ـ ١٥٦٤) الرائع الذي تمثل ليدا والبجعة المعروفة بزيوس ، واعرض على الآخرين ابيات غراهام هو التي تكاد تغطي الموقف :

« دائم الشباب ، وشهواني يتحول الى ثور او كبش او افعى او بجعة ، او مطر ذهبي : مئة تنكر مخادع .

ليوقع في شراكه فتاة او حورية او الهة ، ينجب ابطالاً طوالاً ومخلوقات بشعة وآلهة ، وجميع ما يقوم الكاتب او النحات بتسجيله ما هو إلا ثمر عناقاته الحارة . . . »

انصاف الآلهة

اخيل

مبتذل الى حد لا يثير اهتمام بلاف ماهر ؛ يجب ان تظهر ابتسامة تتقار متكلفة وعندما يكون شخص ما تافهاً بحيث يذكره ؛ واذا ما

أُلح عليك بأن تبدي رأيك قل : « ماذا تتوقع من رجل اضطر الى ان يقضي سنواته الأولى كفتاة ؟ » .

اينيـــاس

ابن افـروديت ، من الفتيان الحكـماء الـوقـورين الـذين كـان معاصرو الملكة فكتوريا يعجبون بهم ، لكنك لا تفعل ذلك . خرج من نهب طروادة حاملاً اباه عـلى كتفيه ، تجـول فترة ، تخلص من ديدو ، ودخل العالم السفلي وحزن بلا نهاية لمصيره واخيراً سرق بعض الأرض من مواطنيه ولم يؤسس روما بل « لاثيوم » .

كاساندرا

تكافىء الدراسة الجدية كمثال لـلإيمان الجـبري بالآخـرة للعالم الكلاسيكي ، ومن الأقوال المأثورة هنا : « ان يموت المرء امر جيد اما ألا يولد فأفضل شيء » (سوفوكليس ـ لكن من المحتمل ان يكون قد سرقه من الشعر الغنائي ـ من ارتشيلوخوس او ميمرموس او الكايوس او شاعر مماثل) .

اراد ابوللو ان يضاجع كاساندرا واغدق عليها الهدايا ومن ضمنها النبوءة ؛ وعندما رفضت اضاف الى عقدها المادة التي تجدها الآن في تأمينات الاجازات . كانت تتنبأ بصدق دائـماً ، لكن لم يكن احد يصدقها (كـما كان الحـال في حصان طـروادة) ، استعمل اسمهـا لأقوال مثل « رغم انني تنبأت بحدوث انهيار ١٩٨٧ المفاجىء ، إلا انني عوملت مثل كاساندرا » .

هرقــل

هرقل بالنسبة للرومان لكن ليس لك ابداً ؛ اسم « تصوفي » في هذه الحالة « مجد هيرا » .

كانت هيرا تكرهه لأنه ، يا للعجب ، كان احد ابناء زيوس غير المعدودين . حاولت قتله عند الولادة بالافاعي (التي خنقها) واثني عشر عملاً مستحيلاً ولإظهار اطلاع اكثر ، وبهذا بلف افضل ، يمكن الحصول عليه بالاشارة الى عملي هرقل « پارغا » و« براكسيس » وهما الشيئان اللذين توصل اليهما عندما لم يكن يعمل سائساً .

حاول الپاررغون (الصيغة المفردة) للكيركوبس الذين يشبهون القرود . حاولوا ان يسرقوا اسلحة هرقل لهذا علّقهم ورؤوسهم الى اسفل من عمود عبر كتفيه .

يجب ان تعرف جهد هرقل لدخول جهنم ليصل الى سيدة جميلة السستيس ويعيدها الى حبيبها ادميتوس وتبلف عن الموضوع ساعات ، واما ان تعتبر القصة النموذج الأصلي لعبادة المعبودات الوثنية او تتوسع في الكلام عن سيطرتها على الفن الغربي ويعتمد ذلك على نوع الحفلات التي تذهب اليها .

پروميثيوس

من الجبابرة التيتان ، كان ضخماً لكنه لم يستفد مالياً من ذلك ، وبسرقته النار من السماء واحضارها الى الأرض انحاز للبشر عندما اراد زيوس القضاء علينا جميعاً .

كانت عقوبات هذا العمل عامة وخاصة . فقد عاقبنا زيوس

جميعنا بخلق النساء اذ قامت اولادهن پاندورا بإخراج جميع الشرور التي نقاسي منها الآن من الصندوق الذي طُلب منها ان تبقيه مقفلاً ، اما عقوبة زيوس لپروميثيوس فكانت ربطه الى صخـرة وجعل نسر يقوم في النهار بقضم كبده الذي يكون قد نما في الليل ، وهذا اول مثل مسجل عن علم البيئة ، ومع ذلك من الغريب ان « اصدقاء الأرض » يتجاهلونه .

عندما جاء هيرميس ليسلم رسالة من زيوس ، اظهر پروميثيوس ثباتاً هائلاً واجاب : « لن ابادل شقائي بخدمتـك » ولا عجب ان ثيرتوليان اعتبر المسيح المصلوب « بروميثيوس الحقيقي » اما فيسينـو (ازدهر عام ١٤٩٩) فقد نظر اليه كصورة مصغرة عن العالم بأكمل تطوره (انك توافق على ذلك) لكن رونسارد (ازدهر عام ١٥٨٥) فقد اعتبره صورة تنكرية لخطيئة آدم (انك لا توافق على ذلك) .

أظهر اعجابك بمسرحية غوته عنه (١٧٧٣) . ووافق على قول فـرانسيس بيكون بـأن قصته « تـظهر بـوضوح وتؤكـد العديـد من التأملات الخطيرة والصحيحة » وتجاهل مسرحية شللي « پروميثيوس وقـد فُكّت قيوده » ويعـود ذلـك بصـورة رئيسيـة الى انها كتبت في ايطاليا ، واحفظ جيداً بعض الشعر الرديء والغامض حقاً الذي كتبه عنه لونغفالو (من قصيدته « پروميثيوس » التي نظمها عام ١٨٥٨) :

« آه پروميثيوس ، متسلق السماء !
في ساعات ابتهاج كهذه
حتى اضعف القلوب ، ودون ان تخاف
قد تشاهد النسر طائراً
حول صخور القوقاز المغطاة بالغيوم » .

كما يجب على البلافين ان يذكروا صفات پروميثيوس التي ذكرها

اورويل وايفان دنيسوفيتش ، والتي يرددهـا الأزواج الذين تسيـطر عليهم زوجاتهم .

روملوس وريموس

يقال انهما قاما ببناء روما لكنك تعرف انها لم تُبنَ في يوم واحد . لقد ارضعتهما ذئبـة مبيّنة في التمثـال المشهور الـذي نحته جيـوفاني التوريني (١٤٥٩) والمنصوب في سيينا ، ما لم يكن قد بيع اخيراً .

اقتبس قصيدة ماكوللي :

« ان الذئبة المفترسة عرفتهما
ولحستهما المرة تلو المرة
واعطتهما من حليبها الشرس
المشبع باللحم النيء والدم المتخثر » .

ربما لا يكون لونغفالو رديئاً جداً برغم كل شيء .

الرجـــال (بالمعنى العام طبعاً)

يمكنـك ان تعالـج الموضـوع بإحـدى طريقتـين : الواقعيـة او المحـطمة للتقـاليـد والمعتقـدات . وتتـطلب الأولى ان تعـرف عن « الدوريين » الذين غزوا اليونان من الشمال حوالى عام ١١٠٠ ق.م وكانوا دائماً يعتقدون انهم متفـوقون عـلى « الايونيـين » والرومـان المجهولي الأصل جداً ، وكان بعضهم يحرقون جثث الموتى والبعض الآخر يدفنونها ، الى غير ذلك ـ وسرعان ما تتعب .

لذلك تمسك بالطريقة الثانية ، ركّز على هوياتهم ومهامهم بدلاً

من التركيز على الأماكن التي جاءوا او لم يجيئوا منها . امدح مثلاً رجال اليونان في احد القرون ـ اسكيللاس ، صوفوكليس ، افلاطون ، سقراط ، پريكليس ، ايسوكراتس ، فيدياس وزينوفون ـ وقارنهم بنتاج قرن غير بعيد ـ غوته ، شللي ، ويردزويرث ، بيتهوفن ، شوبرت وكوليردج ، قدم ملاحظتين :

١) ان القائمة الأولى مأخوذة من اثينا ، وهي مدينة ربما لم يزد سكانها ابداً عن ٢٠٠,٠٠٠ نسمة اما قائمة مقارنة فيجب ان تشمل عدة شعوب وحتى الالمان .

٢) باستثناء سقراط عاش كل شخص مذكور في القائمة الأولى اكثر من اي شخص مذكور في القائمة الثانية وقد بدأ صوفوكليس مسرحيته الرائعة « اوديبيوس كولونيوس » في سن التشريع . وكان ملك سبارطا اغيسيلاوس نشيطاً في الميدان في سن الثمانين ؛ ويمكنك ان تؤكد ان تعمير القدماء كان ناتجاً عن كون الوجبة النمطية ، حتى في الجمهورية الرومانية ، مكونة من لونين من الوان الطعام : الأول نوع من العصيدة والثاني نوع من العصيدة ؛ ويا ليت شللي كان قد تناول كمية اكثر من النخالة .

اسكيللاس (٥٢٥ ـ ٤٥٦ ق.م)

يجب ان تركز على الكلمات التي ظهرت مرة واحدة في الأدب اليوناني (المنقرض) والتي استنبطها اسكيللاس لإثبات مهارته وسببت الرعب لأجيال من التلامذة ، وتوفر المادة لشهادات الدكتوراه الغامضة .

يجب ألا تثق بأي شخص يدعي بأنه يفهم مسرحية « اغاممنون »

لاسكيللاس بالقدر الذي لا تثق فيه بأي شخص يدعي بأنه قرأ « السهر على جثة فينيغان » بقلم جيمس جويس . كما ان اسكيللاس ألف كتباً منحرفة مثل « الاورستيا » التي اعطتنا فرويد والذنب والتي وصفها سوينبيرن بصدق بأنها « اعظم عمل روحي الفه الإنسان » رغم ان المؤلف نفسه كان يعتبرها مجرد « شرائح من وليمة هوميروس » . اشر الى معارضة ارستوفانيس لاسلوب اسكيللاس في مسرحيته « الضفادع » ـ لم يكن ارستوفانيس يفهمه ايضاً .

فاز اسكيللاس بجوائز المهرجانات المسرحية (المعادلة اليونانية لجوائز الاوسكار) مرات عديدة بحيث جرت محاولات لمنعه من الاشتراك بها . ويجب ان تعرف بأن المؤلفين العصريين عندما يعجزون عن دفع ضرائبهم يسرقون شيئاً من تأليفه ؛ فمتاهات فوكنر العظيمة مأخوذة منه كما ان رواية يوجين او نيل « الحداد يليق بالكترا » تستغرق ساعات عن الورطات الاخلاقية التي غطاها اسكيللاس في دقائق . ورواية ايليوت « جريمة قتل في الكاتدرائية » (١٩٣٥) هي اعادة خلط لمسرحية « اغاممنون » بينما رواية سارتر « ليموش » (١٩٤٣) لا تحتوي شيئاً لم يغطه اسكيللاس .

لحسن حظ من يكافحون لفهم اللغة اليونانية القديمة ضاعت معظم مسرحيات اسكيللاس ؛ ربما تريد ان تسانده لأنه كتب مسرحية عن بروميثيوس ، ، ولكن بوجه عام وبما ان ارسطو كان يحبه يجب ألا تحبه انت .

الاسكندر الكبير (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق.م)

يجب ان يوجّه البلافون اهتماماً خاصاً للاسكندر اذ ان اي

شخص ظل على قيد الحياة بعد ان درس على يدي ارسطو لا بد وان يكون جيداً . ركز على الحقائق المبهمة : كان الاسكندر الثالث ، رجلاً ، ومن مقدونيا حارب ثم تفادى اباه فيليب عندما اراد نفس المرأة وربما تسبب في قتله ، ومن المؤكد انه كان مصاباً بجنون العظمة ومن الأرجح انه كان معتوهاً .

تزوج امرأة ايرانية كما فعل واحد وتسعون من رفقائه ، وقتل اعزّ اصدقائه كليتوس . آمن بالسيطرة على العالم وطلب من اليونان ان يجعلوه الهاً ، وافق بتردد على انه كان قائداً ممتازاً وربما اكثر الناس قاطبة لفتاً للنظر .

ارستوفانيس (٤٥٧ ـ ٣٨٥ ق.م)

يمكنك ان تسجل نقاطاً لصالحك بسؤال اي شخص فيما اذا كان يقصد هذا المؤلف الكوميدي الأثيني او ارستوفانيس البيزنطي (٢٥٧ ـ ١٨٠ ق.م) العالم الموسوعي الثقافة الذي خلف ايراثوسيثينس مسؤولاً عن الاسكندرية العظمى (قبل ان يحرقها قيصر) .

ان طريقة « هل تقصد ؟ » لا تقدر بثمن اذا سألك شخص ما عن احد القدماء وانت لا تعرف عنه شيئاً (انظر زيناس من سارديس) وكبلّاف فإنك لا تشك ابداً لأنك دائماً تتصور ؛ وحيث يوجد الجهل فإنك تحل الخيال مكانه .

ارستوفانيس ذلك حاول ان يحدد قواعد تصريف الاسماء وبدأ النزاع بين القائلين بالقياس التمثيلي والقائلين بالخروج عن القياس ، النزاع الذي ما زال يناقش بحماس في غرف اساتذة اوكسفورد

وكيمبردج عندما يشعرون انهم يجب ان يبحثوا مواضيع ذات اهمية عصرية ملتهبة .

ارستوفانيس هذا هو الذي ألف ٤٢ مسرحية على الأقل بقي منها ١١ ، انها مضحكة جداً وفاسقة وتهكمية الى حد كبير ؛ ففي مسرحية « ليسيستراتا » تضرب جميع نساء الولايات اليونانية عن ممارسة الجنس لإجبار رجالهن المتحاربين ان يوقفوا القتال ؛ وفي مسرحية « اكليسيسازوساي » تتولى نساء آثينا ادارة المدينة ، فيدخلن الملكية المشتركة ويجعلن الرجال يقومون بالأعمال المنزلية ، وعموماً يعطيننا غذاء للفكر .

كان ارستوفانيس وقحاً جداً تجاه جميع عظماء عصره وطبعاً لم يعجبهم ذلك ففي مسرحية « الغيوم » مثلاً ، يظهر سقراط وهو يدير « مصنع منطق » حيث يتعلم الطلبة كيف يتجنبون تسديد ديونهم ويتناقشون فيما اذا كانت البعوضة تطن من فمها او من مؤخرتها ، كما يتدلى سقراط من سلة ويحملق وهو مفتوح الفم بحركة القمر فتبول سحلية عليه . على ان ارستوفانيس ظل على قيد الحياة رغم عداء من هجاهم ، وثورتين لحكومة اقلية واعادة الديمقراطية مرتين . وبهذا فإن الفرقة التلفزيونية البريطانية « الصورة الباصقة » ليس لها ما تخافه رغم نقدها اللاذع لمن هم في السلطة .

وبما انه ليس لعلماء الكلاسيكيات شيء افضل يعملونه فقد حلموا بفرز المسرحيات الكوميدية القديمة والوسطى والجديدة ؛ وكل من المسرحيات الكوميدية القديمة والوسطى ممثلة في مؤلفات ارستوفانيس مما يبين زيف هذا الفرز ، قد ترغب في التخصص بالكوميديا الوسطى اذ لم يبقَ منها إلا مسرحيات ارستوفانيس التي قد لا تكون قديمة ، وعناوين وقطع ناقصة . واشخاصها بوجه عام هم

الطفيليون والمحظيات والفاسدون والفاسدات .

اكد على ان جميع المسرحيات الكوميدية ، القديمة والوسطى والجديدة ، كأعمال مينانـدر (٣٤٢ - ٢٨٩ ق.م) والرومانية (پـلوتـوس ٢٥٠ - ١٨٤ ق.م) وتـرنس (١٩٠ - ١٥٩ ق.م) ومسرحيات العصور الـوسطى : كمسرحيات موليـير ، شريدان ، شيكسبير وستوپارد ليست جميعها إلا استشراقاً هزيـلاً من اعمال ارستوفانيس ، الكاتب الكوميدي الوحيد الذي اضحكك .

اغسطس (٦٣ ق.م - ١٤ ب.م)

احد مجانين العظمة ، وتغييره لاسمه مرتين يمثل اولى المحاولات المسجلة للتهـرب من الضريبة الشخصيـة . كـان اسمـه كـايـوس اوكتافيوس تورينوس ، فأصبح كايوس يوليوس قيصر اوكتڤيانوس ثم اغسطس ، كما كـان يعرف ، عنـدما ينـاسبه ذلـك ، بالامـبراطور قيصر .

لم يطلب ان يُعلن الهاً بل جعل نفسه الهاً . وعندما كان لا يقتل الناس الذين لم يكن يحبهم كانت زوجته ليڤيا تفعل ذلك . كسب اغريپا معاركة له لكنه اكتسب الفضل في ذلك ؛ ومذكراته المعنونة « الأشياء المعمولة تثبت انه كان رجلاً ذا خيال واسع ، ويقال بأن بعض السياسيين المعاصرين مثل اعضاء معهد آدم سميث والجنرال بينوشيه معجبون به كثيراً .

قيصر (١٠٠ - ٤٤ ق.م)

يجب ألا تنحـدر ابداً لبحث رجـل اكتسب شهرة واسعـة من

انجازات قليلة جداً . يمكنك ان تقول بأن الشيء الوحيد الجدير بالاهتمام الذي عمله كان اعطاءنا في اول يناير (كانون الثاني) من عام ٤٥ ق.م التقويم الغريغوري ، او حتى افضل منه استعمل « منذ تأسيس المدينة » ، التي هي بالطبع روما . « لقد حدث هذا عام ١٠٠ منذ تأسيس المدينة » يتيح لك بلفاً رائعاً ، اذ لا احد يعرف متى اسست روما .

باختصار ، يمثل قيصر فن البلاف اللطيف . استطرد ، واربك وشوّش لكي تعطي انطباعاً حسناً عن نفسك . تحدث عن المبهم وليس عن اجتيازه لنهر الروبيكون (في شمال ايطاليا مما مكّنه بعد حرب اهلية من ان يصبح سيد روما) حاول « المفاهيم الرومانية للهوية المكانية الزمانية » ، لا بد وانها كانت مشوشة جداً بالتقويم الغريغوري او بدونه . اقتبس كتابة جدارية من پومپيي تعطي او تحاول ان تعطي تاريخاً : « اثناء حكم نيرون قيصر اغسطس وكوسوس لنتولوس لجمهورية روما ، قبل منتصف شباط (فبراير) بثمانية ايام ، نهار الأحد في اليوم السادس عشر للقمر ، يوم السوق في كوماي وقبل خمسة ايام من يوم السوق في پومپيي » - يا سلام !!

كاليغولا (١٢ - ٤١ ب.م)

يجب ان تقول « هل غايوس ؟ » كان كاليغولا « حذاء الطفل » هو اللقب الذي اكتسبه للبسه حذاء عسكرياً (يدعى كاليغاي) وهو ميله الوحيد غير المؤذي . اصبح امبراطوراً في السادس عشر من آذار (مارس) عام ٣٧ ب.م بتغيير وصية تاپيريوس ، لكن عاداته اللاأخلاقية والسادية والقتل كانت اكثر مما يحتمل حتى بالنسبة للرومان .

كاليماخوس (٣٠٥ ـ ٢٠٤ ق.م)

يجب ان تعرف قصيدته المكونة من ٧٠٠٠ بيت واسمها « اثينا » (الاسباب) وتمدحها كمثال للشعر البالغ حد الكمال . قم بذلك مع العلم بأن لا أحد يستطيع ان يناقضك اذ لم يبقَ منها إلا قطع صغيرة فقط . احفظ واستغل البيت القائل « الكتاب الكبير هو شر كبير » وبهذا انبذ « الآيات الشيطانية والكلمتان الضروريتان للبلافين لعقيدة كاليماخوس هما « النحافة » و« الفن » .

كاراكالا (١٧٦ ـ ٢١٧ ب.م)

اشر اليه عندما يتحدث شخص ما عن افراط نيرون ، فإنه اقل شهرة مع انه كان اكثر افراطاً بكثير من نيرون . ولا شك بأنك ستعطي انطباعاً جيداً .

كان اسمه باسيانوس لكنه اختار اسم اليمانيكوس اليمانيّ . كان فعلاً يدعى ماركوس اوريليوس انطونينوس لكنه فضل اسم كاراكالا ، من المعاطف الطويلة الفضفاضة المقلنسة كالتي كانت قبائل الغال تلبسها مثل السيد مَوت .

ورث العرش فعلاً بالاشتراك مع اخيه غيتا ، ثم قتله وانتقم من ٢٠,٠٠٠ ذكر و٢٠,٠٠٠ انثى من انصار غيتا بنزع احشائهم وصلبهم وتقطيع اوصالهم . منح كاراكالا الجنسية الرومانية لجميع سكان الامبراطورية الأحرار ، لكن الناس سرعان ما عرفوا السبب ـ اذ بضربة واحدة زاد الضريبة الأساسية الى ثلاثة اضعافها ؛ ومع ابتكارة ضريبة ميراث مقدارها عشرة بالمئة كان بإمكانه ان ينفق ويقتل على نطاق لم يُسبق .

إدّع تمتعك بمهزلة الحفلات الموسيقية والهزلية الخارجة عن المألوف التي تقام الآن في حمّامات كاراكالا الكبرى في روما ، التي يفكر الحضور فيها بعظمة روما ؛ عمل كاراكالا الكثير في حماماته ، لكنك تعرف ان اياً منها لم يكن ليوصف بأنه ثقافي .

كاثيلين ـ (؟ ـ ٦٢ ق . م)

لم ينل التقدير اللازم وهو ضروري للبلاف الى ابعد الحدود ، دافع عن الفقراء والمستائين خاصة الافراد الفاجرين من الطبقة الارستقراطية والمحاربين القدماء المفلسين . حاضرَه شيشرون لعدة سنوات (احد خطبه التي لا حد لها موجودة في « الكاتالينام ») واخيراً دبّر قتله مع جيشه وهم زاحفون على روما ، عارض الفكرة القائلة ان كاتالين كان فوضوياً . انه لم يحب شيشرون ، ومن يستطيع ان يلومه على ذلك ؟

اعتبره كلاسيكيو العصر الفكتوري بأنه « قد جُرف بدوّامة الأعمال الفاجرة العامة ، ففي صباه المبكر انغمس بإسراف في جميع الملذات التي لم تضعف قوته الجبارة وبلّدت احساساته الأخلاقية وقادته الى ارتكاب سلسلة من الجرائم الفظيعة ، التي جعلته يبرز في التاريخ كواحد من اكثر البشر وحشية وقبحا » .

كاتوللوس (٨٧ ـ ٥٤ ق . م)

شاعر خليع ، ومن الطراز الأول ، نظم في مختلف بحور الشعر ، كما نظم عدداً من قصائد الزواج .

كان عضواً في مجموعة رومانية من الشعراء الممتازين الذين كانوا يعتبرون عصريين ، وكان شيشرون يكرههم ، وقد نظموا قصائد تتسم بالمهارة والدعارة اللافتين للنظر .

شيشرون (١٠٦ ق.م - حتى التقزز)

كتب ، والأردأ من ذلك ، نشر خطباً ، لا نهاية لها دون افعال رئيسية ، بالاضافة الى مؤلفات فلسفية اكثر ارهاقاً ، مثل « دي نانتشوا ديوروم » الذي سرقه دون حياء ، وحرفياً تقريباً ، من اليونان ، كما كان لديه كاتب وسكرتير يدعى تايرو .

كان ديمقراطياً طبيعياً ، وصف اهالي روما بأنهم « براز روما » . والمرة الأخرى الوحيدة التي قال فيها شيئاً مختصراً كانت عندما جاء الى الساحة الرئيسية ليخبر العامة ما حدث لأنصار كاتالاين ، فقال : « لقد عاشوا » .

ديوجينيس الكلبي (٤١٢ - ٣٢٣ ق.م)

عندما سئل ديوجينيس عن الوقت المناسب للزواج اجاب : « بالنسبة للشاب ، لم يحن الوقت بعد ، أما الكبير في السن ، فعليه ألا يتزوج ابداً ، مستبقاً طبقة الأغنياء الذين يسافرون بالطائرات النفاثة للتنزه . كان يتنقل بين اثينا وكورنثوس ليتمتع بشتاء الأولى اللطيف وبنسيم الصيف العليل في الثانية ، وأصر بأنه بذلك يعيش افضل من ملك الفرس الذي كان عليه ان يسافر مسافات طويلة لإحراز نفس النتيجة .

يجب ان تصحح على نحو بات أي شخص يحط لجهله من قا
عبارة « كلبي » اقتبس قول الكلبي النهائي نفسه : « ان السعا
تتكون من شيء واحد فقط ، ان يتمتع الإنسان بنفسه ولا يحز
ابداً ، مهما كانت الأمكنة او الظروف التي يجد نفسه فيها » وكا
يعتقد ان العاقل « يعتبر اعضاء الحواس التي اعطته اياها الطبي
الهة ، ويستعملها بصورة صحيحة . . . مستنبطاً السرور من السم
والرؤية ، ومن الطعام والجنس » ـ فمن يخالف هذا الرأي .

دراكو (ازدهر عام ٦٢٠ ق . م)

سنَّ مجموعة من القوانين لأثينا ، ولما سئل لماذا حدد عقوبة المو
لمعظم الجرائم اجاب بأن الجرائم الصغرى تستحق الموت ، وأنه
يعرف عقوبة اقسى للجرائم الكبرى . .

يوبوليدس من ميليتوس (ازدهر في القرن الثالث ق . م .)

فيلسوف ، لم يحب ارسطو ، ابتكر عبارات بارعة متناقض
ظاهرياً مثل « الكاذب » التي حيرت المنطقتين ومنهم الألمان منذ ذلك
الحين : اذا قال رجل : « انني اكذب ، فهل يقول الحقيقة ؟ »

بالشكل الأصلي يقول ايبمنيدس الكريتي : « جميع الكريتيي
كاذبون » . فإذا قال الحقيقة ، فهو يكذب ؛ واذا كان يكذب ، فإ
يقول الحقيقة . كانت صيغتها في العصور الوسطى ، كما يلي :

سقراط : « ما ينوي افلاطون ان يقوله غير صحيح » .

افلاطون : « ان ما قاله سقراط الآن صحيح » .

يمكنك ان تستطرد بالطبع وتذكر كانت وفيثاغوروس وداروين واي شخص آخر يمكنك ان تفكر به ، بينما تعود دائماً الى « التناقض الظاهري للتعريف » بقلم يوبوليدس ، والمعروف ايضاً بعبارة « سفسطة المنحدر المنزلق ، مثلاً :

أ) **بروتاغوروس** : عقد محام شاب اتفاقاً مع معلمه بروتاغوروس ، ينص على انه اذا ربح قضيته الأولى فإنه سيدفع تكاليف تدريسه ، اما اذا خسرها ، فلن يدفع . ظل يرفض قبول القضايا الى ان رفع بروتاغوروس قضية عليه ، بالطبع دافع المحامي الشاب عن نفسه ، فإذا خسر القضية فلن يدفع واذا ربحها فلن يدفع .

ب ـ **داروين** : « بقاء الأصلح » لا يمكن ان يكون الأصلح هو الأكثر مهارة او قوة ـ فالغباء والضعف موجودان في كل مكان . لذلك فإن الطريقة الوحيدة لتحديد الصالح هو بقاؤه ، اذن « الصلاح هو البقاء » اما نظرية داروين فتقول : « الباقون يبقون » (على قيد الحياة) .

توجد هنا ساعات وساعات من البلف الرائع . اذكر اية قصة متناقضة ظاهرياً تعرفها وانسب جميع القصص المماثلة ليوبوليدس . انثر في حديثك « تناقضات مضغوطة » مثل « صمت عالي الصوت » « موت حي » وقل ان حصادك هو الغابة التي لم تزرعها . ازرع الأشجار السكوية (شجر كاليفورني من فصيلة الصنوبر يصل ارتفاعه احياناً الى مئة متر) واستثمر في الألف عام ، وتمرن على الانبعاث .

هيراكليتس (ازدهر في القرن الخامس ق.م)

فيلسوف متعجرف بصورة تدعو الى الاعجاب (خاصة اعجاب جويت رئيس كلية باليول في اوكسفورد : « انا رئيس هذه الكلية ، وما لا اعرفه ليس معرفة ») ومن ملاحظات هيراكليتس النمطية قوله : « الناس الآخرون لا يلاحظون ما يعملونه عندما يكونون مستيقظين مثلما ينسون ما يعملونه وهم نيام » . كما ان بعض اقواله الخفية المعنى ضرورية للبلافين ، مثل : « كل شيءٍ يتدفق » ، « الطريق صعوداً ونزولاً هي نفسها » .

هيرودوتوس (٤٨٤ - ٤٢٠ ق.م)

اتخذ مسلكاً قوياً ، ارفض وجهة نظر شيشرون الذي يعتبره « ابا التاريخ » اذكر انه كان جغرافياً اقليمياً ومسجلا كاذباً للرموز والأساطير ، ولم يكن مؤرخاً قط وحجتك هي انه لم يفسد اية قصة لحاجته لبعض الحقائق . وتمسك بالفكرة بالاقتباس من جوفينال « اي شيء اخر يجرؤ اليوناني على ذكره في تاريخه . . . » كن واثقاً ، فإن اي انسان يثير اهتماماً كبيراً الى هذا الحد بين علماء الكلاسيكيات الألمان يجب ان يكون مشبوهاً .

هيسيود (ازدهر في القرن الثامن ق.م.)

اذا ادعى شخص ما ان هوميروس هو اول شاعر يوناني إدّعِ ان هيسيود كان الأول ، والعكس بالعكس ؛ استشهد بالالماني كراڤت في

هذا المجال ، فكتابه الضخم عن الاثنين اصلي وجيد : لكن القسم الأصلي ليس جيداً اما القسم الجيد فليس اصلياً .

حتى اليونان لا يعرفون من كان أقدم الاثنين ، والعلماء القدماء كرسوا حياتهم لهذه القضية السخيفة تماماً ـ والعلماء العصريون يعملون نفس الشيء ، وهذا دليل آخر لك على استمرارية الكلاسيكيات .

تعرف ان هسيود الف كتاب « الأعمال والأيام » (الذي يلح على كل انسان ان يكون مقتصداً ومجتهداً ومملاً للغاية) وكتاب « الثيوغوني » الخليع الذي يشبه مسلسل دالاس التلفزيوني . لا تتوسع في بحث هذين الكتابين ، فلسبب أو لآخر يكون العديدون قد قرأوهما او على الأقل علموا بهما . وسيكون بلفك بدلا من ذلك : « هل كتب هيسيود ، ام لم يكتب « الدرع » و« كتالوغ النساء » و« استرونوميا » وغيرها من المؤلفات المفقودة ؟ انك تعرف بأنك لا تعرف ، ولكنك تعرف ان مستمعيك لا يعرفون كذلك .

هوميروس (؟ حوالى القرن التاسع ق.م)

رغم كونه امياً واعمى إلا انه ألّف الألياذة والأوديسي . وهذا القول نوع من الاحتمال الملحوظ الذي تزخر به الكلاسيكيات . لهذا يمكنك ان تنسب اليه ملاحم تائهة مثل « سيبريا » « ثيبابس » و« ترانيم هوميروس » ، واذا كنت ماهراً جداً « ابيغوني » ؛ والنقطة الأساسية في اسلوبه هي تكرار نفس البيت القديم (الصيغة) عندما لا تعرف اي شيء آخر تقوله . كان نصه تمتمة السياسي . وهكذا كل صباح ، وتوجد صباحات كثيرة في هوميروس ، نجد « حالماً لمس

الفجر الأولي السماء بأصابع النور الزهرية . . . » ويا له من بيت !

وحيلة هوميروس الأخرى هي النعوت والألقاب . فإن اغاممنون هو دائماً « سيد الرجال » ، وأوديسوس هو دائماً « كثير النصائح » وزيوس بالطبع حاضر دائماً انه حشو عظيم ، وعليك ان تستخف كلياً ونسبياً بالتعابير العصرية المقززة ، كعبارة « موقف » الموجودة في كل مكان كما في : « ليس موقف خيارات متطور باستمرار » و« موقف مواجهة » وحتى في التعليقات على مباريات الرغبي « موقف حشد » .

انك تعتقد انه ان لم يكن لدى الناس شيء يستحق القول ليقولوه ، فإن اقل ما يمكنهم عمله هو التزام الصمت ، او تضحك من القرن العشرين الذي رغم تأكيده على السرعة ، إلا ان الناس لا يستطيعون ان ينقلوا حتى ارباكهم للآخرين . ومن هوميروس الذي يلتزم بالصيغ والنعوت لسنا إلا انحرافاً يؤسف له .

هذا هو نوع الاستطراد الذي يجب ان تمتاز فيه . انه يحتوي على الصمود البعيد النظر والطويل المقاساة والكثير الاحتمال والكلي لمعرفة الذي يشكل الصورة المرغوب فيها من كل بلاف كلاسيكي ؛ ولكن اذا كنت منحرف المزاج إلجأ بدلاً من ذلك الى « التقليد الشفهي » فأعمال هوميروس انتقلت شفهياً ومن المثير حقاً ان يتمكن المرء من القاء قصيدة او قصيدتين من ١٦٠٠٠ بيت ؛ اذ ان الناس في هذه الأيام عليهم ان يشاهدوا اخبار الساعة العاشرة على التلفزيون ليتذكروا ما كان في نشرة الساعة التاسعة .

يمكنك ان تذكر ، عَرَضاً ، وجهة نظر رادرماخر من ان هوميروس كان معارضاً للحرب لأن زيوس في الالياذة لم يحب اريس (اله الحرب) كما يجب ان تعرف رأي زويلوس في « بلاء هوميروس »

اذ انه في عام ٣٣٠ ق.م اعتقد بأن هوميروس ملفق اكاذيب .

ومع ذلك اذكر باحترام انه مهما كانت هوية هوميروس ، هذا ان وجد على الاطلاق ، إلا انه الف بعض افضل الأشعار التي عرفها الانسان ، احفظ غيباً واقتبس مراراً ابياتاً كهذه :

« . . . ان النـاس كأوراق الشجـر التي تزدهـر وتنعم بالحيـاة وتتغـذى بما تعـطيه الأرض ، لكنهـا تذبـل بعد ذلـك وتمـوت » . (الالياذة ـ القسم ٢١) .

اعلن انك تجد في هوميروس توتراً كثير التردد بين التمتع بالحياة وقبول بنيتها التي لا تتغير ؛ انك تعجب بهذا وتحاول محاكاتـه ـ الى درجـة كبيرة . اقـرأ ترجمـة لاتيمور لـلالياذة وتـرجمـة فتـزجـيرالـد للأوديسي .

هوراس (٦٥ ـ ٨ ق.م)

يشبه السير جون بنجامـين ، وقد وفّـر للخبراء مقتبسـات من الأدب اللاتيني تزيد عما وفره جميع الآخرين. بدأ حياة طويلة ومميزة ومارس الكتابة لأنه كان مفلساً . ومقابل مدحه لأوغسطس حصل عـلى منحة مـالية مـدى الحياة وعـلى مـزرعـة . ان مجلس الفنـون (البريطاني) لا يمكنه ان ينافس ذلك ؛ وستندب زوال الرعاية .

كان شخصاً متواضعاً وقال : « لقد صنعت لنفسي نصباً تذكارياً يـدوم اكثر من الـبرونز . . . ولن امـوت كلياً » كـما ألف « كارمن سيكولير » وهي قصيدة غنائية تغنيها جوقة من ٢٧ ولداً و٢٧ بنتاً .

ان افضل مسلك تتبعه تجاهه هو ان تدعي ، مع بعض التبرير ،

بأنه قد سرق افضل اعماله من اليونان ؛ مضيفا بتملق شيئاً مما قاله : « لقد عاش الكثير من الشجعان قبل اغاممنون » ـ قول بديع !

جوڤينال (٥٥ ـ ١٤٠ ب.م)

ان هجائياته البارعة الست عشرة قراءة ضرورية وتتراوح بين كشف بعض الرذائل الشديدة الانحراف واسراف الطبقات الحاكمة وتعاسة الفقر وكراهية اليهود والنساء ؛ وان من يجدون الحياة لا تطاق في اواسط المدن هذه الأيام يجب ان يقرأوا هجائيته رقم ٣ ويدركوا ان بعض الأشياء لا تتغير .

ان نصوص درايدن (١٦٣١ ـ ١٧٠٠) لخمس من قصائده الهجائية هي افضل اعماله . اما القصيدة رقم ١٠ فهي نموذج « غرور رغبات النساء » لجونسون (١٧٠٩ ـ ١٧٨٤) ومن المؤكد تقريباً انك ستعطي انطباعاً جيداً اذا عرفت بأن السؤال العظيم الذي يسأله السياسيون الأحرار وضباط الاستخبارات السابقون « من سيحرس الحراس انفسهم ؟ مأخوذ من جوڤينال ، (يجب ان تقتبسه باللاتينية) من القصيدة الهجائية السادسة ، وتبلف مستمعيك لعدة دقائق بأهمية كلمة « انفسهم » في الأصل .

لوكريتيوس (٩٩ ـ ٥٥ ق.م)

اذكر بأن لوكريتيوس وڤيرجيل وحدهما استطاعا ان يأخذا نموذجاً يونانياً ويعملا شيئاً اعظم منه ، قد لا يكون هذا صحيحاً تماماً ، لكنه على الأقل مثير لجدل مؤكد . ألّف لوكريتيوس ملحمة تعليمية

سداسية التفاعل عنـوانها « فيما يتعلق بـطبيعة الكـون » والتي دون خجل تتقيأ النظريات الذرية للفيلسـوفين اليـونانيـين ديموكـريتوس (ازدهـر في القرن الخـامس قبـل المسيـح) وابيكـوروس (٣٤١ ـ ٢٧٠ ق.م)

ومع ذلك فإن لوكريتيوس نظم شعراً ذا قوة وعاطفة لاذعتين ، ولا تعرف ما يماثله :

« من قلب ينبوع المسرات ، ومن ازهار السرور نفسها ، ينبثق شيء مر يجرح »

هذا صحيح ، ويختبره المرء كشيء متخلف من الماضي .

نيرون (٣٧ ـ ٦٨ ب . م)

نتيجة لأصله الرذيل وطفولته المنحرفة اصبح امبراطورياً رومانيه طبيعيـاً ، وحارقـاً عن عمد ، وقـاتلاً لأمـه وزوجاتـه العـديـدات وللمسيحيين والرواقيين والحمير ، واخيراً لنفسه .

اوڤيد (٤٣ ق.م ـ ١٧ ب.م)

كتب من ضمن مـا كتب ، نصاً مضحكـاً بصورة لا تصـدق وفاجراً وعملياً للكياما سوترا « فن الحب » يستحق القراءة . لم يحب اغسطس ذلك كثيراً فنفي اوڤيد الى البحر الأسود حيث كتب « اشياء محزنة » على انه قُدّر لفكرته عن « الاستحالة ـ القول » ، التي سرقها من شعراء يونانيين عديدين : نيكاندر ، وپاريثيتوس وكاليماخوس .

ونظراً لأن مفكري عصر النهضة. وعصر الملكة اليـزابيت (الأولى) ظنوها اصلية ، فإنهم قدّروها كثيراً .

ترجم آرثر غولدنـغ القصص عام ١٥٦٥ ، كـما ان بواسن لم يرسم شيئاً آخر من عام ١٦٢٩ حتى عام ١٦٤٢ ، على ان الالمان هم الذين انفعلوا كثيراً فقد قال غوتة بتحول النباتـات عام ١٧٩٨ ثم الحيوانات عام ١٨٠٦ ، وبحلول عام ١٩١٤ لم يستـطع ريلكه ان يفكر بشيء غير التحول (عن طريق التطور) . انك لا تظن ان اوفيد كان سيوافق على ذلك .

پندار (٥١٨ ـ ٤٣٨ ق.م)

تكاد اشعاره تكون غير قابلة للترجمة ، وهي عادة تستعصي على الفهم وتكون دائماً غير قابلة للتفسير ولسوء الحظ فهو اعظم الشعراء الغنائيين اليونان .

افلاطون (٤٢٩ ـ ٣٤٧ ق:م)

سرق جميع افضل افكاره من سقراط ، لكنه لكي يستر نفسـه اعلن انها لسقراط ؛ وربما كان سقراط . اعلن « نظرية الأشكال » وكره النساء والديمقراطية بينما كـان مخطئـاً بشأن الـطغيان . حسب نظريته الخاصة بالأشكال ، فإن الفيل كبير وصغير في نفس الوقت ـ فيل صغير ، حيوان كبير . كما ان ضرب انسان ما جيد ورديء ـ جيد عندما يكون ذلك عادلاً ، ورديئاً عندما لا يكون عادلاً . وكل ذلك يثبت ان لا احد يتجاوز سنة العقلى الرابعة يمكن ان يكون فيلسوفاً ـ

اذا تجاوزنا عن كونه فيلسوفاً ملكاً (نسخة افلاطون عن الطاغية) واذا كان رديئاً فإن الافلاطونيين الجدد مثل پلوتينوس (٣٠٥ - ٢٧٠ ق.م) كانوا اردأ .

ان البلافين الذين يتمتعون بكونهم مقتصدين بالصدق يجدون متعة كبيرة في « جمهورية » افلاطون : « اذا حدث ان اعطي اي شخص حق الكذب ، فإن حكام الدولة يجب ان يكونوا اولئك الاشخاص . . . ويجب ان يسمح لهم ان يكذبوا للمصلحة العامة (الكتاب الثالث) ؛ تتحرك من هناك بالطبع الى جوڤينال ثم الى يوبيليديس (من المنحدر المنزلق) ثم تعود الى خطبة ديموسيتينية عن السياسة المعاصرة .

پيرهوس (٣١٩ - ٢٧٢ ق.م)

اشهر ملوك ايپروس المولوسيين ، اتبع خطوات ديمتريوس المحاصر واحتل پاراويا وتيمفايا وامپريسيا وامفيلوشيا واركانانيا وورث كورسيرا ولوكاس باقترانه بابنة اغاتوكليس ثم ابنة بارديليس الداردانى بعد ان توفيت زوجته الأولى انتيغوني .

فيثاغوروس (ازدهر حوالى ٥٥٠ ق.م)

سرق نظريته من بابل ثم قدم ثوراً ذبيحة للآلهة لأنه كان نباتياً . لعب مع البط في حمامة ، عادل الافكار التجريدية بالأرقام : العدل = ٤ ، السعادة = صفر . لم يكتب كلمة واحدة قط ، لكن اتباعه كانوا يقسمون على المحافظة على السرية ، لكننا ما زلنا متأكدين تماماً بأنه كان يؤمن بالتناسخ .

صافو (ازدهرت حوالى عام ٦٠٠ ق.م)

كانت تعيش في جزيرة لسبوس حيث كانت تدير مدرسة تشبه المدارس السويسرية الخاصة التي تعد الطالبات للنشاطات الثقافية والاجتماعية خاصة . غير ان مدرستها كانت تكرم افروديت وعرائس الشعر لا الأخلاق والنقود ؛ وجدت الوقت للزواج من سيرسيلاس وانجبت طفلاً دعي كلاييس . وفيما عدا ذلك ظلت مشغولة ، تنظم شعراً رائعاً الى حد مدهش ويمكنك ان تصرح بأنها افضل شاعرة في التاريخ .

لكن مما يؤسف له انه لم يبق من شعرها سوى قصيدتين وبضع مقطوعات . واذا كنت قد قرأتها فإن بلفك كامل ، واذا لم تكن قد قرأتها ، الجأ الى :

١) تقلبات تقاليد المخطوطات ، وحرق مكتبة الاسكندرية وتلف اوراق البردي .

٢) شرح عن غيرها من الشاعرات القديمات ، كورينا وپراكيللا وحتى الشاعرة الرومانية صلبيشيا ، وعن عدم امكانية قهر الروح الانثوية ، وهكذا ان البند الأول هو الأفضل ، حاول القطعة ١٩٩ من ترجمة لاتيمور الرائعة :

« مثل الالهة انفسهم في نظري من يجلس حيث يستطيع ان ينظر في عينيك ، ومن يصغي قريباً منك ، ليسمع الصوت الناعم ، وحلاوته تتمتم بالحب والضحك ، وكلها له . لكنه يحطم روحي تحت صدري فإن القلب جميعه يهتز » .

وكل بلّاف جيد يعرف كيف تشعر .

سقراط (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق.م)

ان البلّاف الجيد يقول ببساطة : « هل تقصد افلاطون ؟ » لكن اسعمل طريقة سقراط الفنية للتكذيب المنطقي لإرباك نفسك وارباك الآخرين ، وابسط وسيلة لذلك هي جعل الآخرين يعرّفون العدالة والصدق والفضيلة والسعادة وهكذا ، وعندما يعطون رأياً ، اسألهم باستمرار « لماذا ؟ » .

تيميستوكليس (٥٢٨ ـ ٤٦٢ ق.م)

سياسي وخبير استراتيجي اثيني ، كان جنرالاً ، وقائداً للاسطول الاثيني .

يمكنك ان تروي بعض القصص الجيدة عنه ، فعند هجوم الفرس القوي عام ٤٨٠ ق.م ، كان على اليونان ان يقرروا فيما اذا كانوا سيحاربون الاسطول الفارسي في سلاميس او يسحبوا اسطولهم الى البرزخ . اقنع تيميستوكليس القائد العام بمناقشة الموضوع لكنه بدأ يتكلم قبل طرح الاقتراح على الاجتماع . قال احد الكورنثيين : « يا تيميستوكليس ، في الألعاب ان من يبدأ قبل غيره بكثير يهزم » فكان رده « ومن يبدأون متأخرين اكثر مما يجب لا ينالون جوائز » . وفي اجتماع ودّي آخر طلب من تيميستوكليس ان يسكت وإلا فإنه يتعرض للضرب فأجاب : « اضربوا ، ولكن استمعوا لي » .

ثوسيديدس (٤٦٠ ـ ٤٠٠ ق.م)

عن طريق تأليف خطب في كتابه المعنون « التاريخ » للناس

الذين سببوا الحرب والتي يقولون فيها ما ظن انهم ظنوه وما عملوه او ما كان يجب ان يعملوه ، او ما كان بمقـدورهم ان يعملوه ، فسر وعلق واوضـح وعقلن التاريـخ . لم يؤلف كتابـه طلباً لاستحسـان معاصريه ولكن لجميع الاوقات على اساس مـا رآه بنفسه وتقـارير الآخرين بعد بحث دقيق ، هادفاً للوصول الى اعظم دقة ممكنة في كل حاله ، الفّ تاريخاً للحرب البليبونيسية ـ والى حد كبير اوجدها .

ان نثره في كل قطعة منه متعرج ، وكما قال كوينتيليان : « ان اسلوب توسيديس مسبب للامساك وغير قابل للهضم وواقف دائماً على رؤوس اصابع قدميه » ومع كل ذلك ، فهو قراءة ضرورية لأي بلّاف ، وعلى الأخص تأبين پـريكليس (الكتاب الثـاني) في نصه المترجم .

ڤيرجيل (٧٠ ـ ١٩ ق.م)

كتب نسخ اعلانات رائعة لأوغسطس وكل منها غادر بطبعه مثل اعلان « ان الأشياء تسير بشكل افضل مع الكوكاكولا » ومع ذلك يجب ان تتقن بعض الاقتباسات من اقوال ڤيرجيل ، فقد تساعدك في رحلتك المقبلة لتوسكانيا :

« ظل عزمه دون تغيير ، وتتساقط دموعه سدى » ـ « الاينيادة » الجزء الرابع ـ (عن رفض مدير البنك اعطاء قرض) .

« مروا بعبوس من خيالات الليل غير المأهـول » ـ « الاينيادة » الجزء السادس ـ(عن النفق الذي يُنشأ الآن بين بريطانيا وفرنسا) .

« توجد دموع للأشياء ، وشؤون الناس تمس العقل » ـ

« الاينيادة » ـ الجزء الأول . (شعورك عندما تكون كئيباً) .

ركّز على ڤيرجيل كبرهان على كون الكلاسيكيات سارية المفعول دائماً . انك تعرف انه كان رومانياً (تقريباً) لكن افضل مادته جميعها مأخوذة من هوميروس . ان نطاق بلفك الآن يصل الى قمته ، ففي العصور الوسطى كانوا يتعلمون جميع « قواعد اللغة » من ڤيرجيل والعبارة مشتقة من كلمة تعني « السحر » وبهذا اصبح ڤيرجيل ساحراً عظيماً ، فصنع ذبابة برونزية ليحمي نابولي من جميع الذباب ، كما انه وازن المدينة على بيضة .

كان الناس يفتحون كتبه ويختارون سطراً وهم مغمضو العيون للتكهن . وقد قام ولپول باستشارة ڤيرجيل بشأن الملك جورج الثاني وسحب قول ڤيرجيل في الاينيادة الجزء الثالث ـ السطر ٦٢٠ ، ونصه « ايتها الآلهة اطردي وحشاً كهذا من الدنيا » . كما ان تشارلز الأول ، عند بداية الحرب الأهلية سحب لعنة ديدو على اينياس (الاينيادة الجزء الرابع السطر ٦١٥) ، ونعرف ماذا حدث له .

بكى القديس بولس على ضريح ڤيرجيل وقال : « ماذا كنت سأضع منك لو كنت قد وجدتك حيا ؟ » ويجب على البلاف ان يسأل مستمعيه المفتونين فيما اذا كان العالم الروماني مستعداً لبيلي غراهام (اشهر مبشري هذه الأيام ـ المترجم) .

انتج عصر النهضة ملاحم ڤيرجيلية لا تحصى ـ من « افريقيا » بقلم پيترارك الى « السفلس ـ المرض الفرنسي » بقلم فراكا ستورو اما اول اوپرا وبعض أعمال دانتي ، ملتون ، داريدن ، پوپ ، تينسون ، تي / اس / ايليوت ، موسوليني وشركة ساتشي وساتشي للعلاقات العامة ما هي إلا مشتقات من اعمال الرجل العجوز الذي يجب ان يركع له جميع البلافين .

مـــاذا ؟

يجب ان تصر بعنـاد وبشكل لا يمكن تجنبـه انه لم يكن للعـالم الكلاسيكي إلا ستة مكونات :

١) الديمقراطية :

يعتقد معظم الناس اننا مدينون للعالم الكلاسيكي بالديمقراطية ووصيفاتها : السلام ، الاخاء ، بحيرة النبيذ (في السوق الأوروبية المشتركة ـ المترجم) وصندوق النقد الدولي ؛ لكن البلّافين يعرفون افضل من ذلك .

لم يعـرف اليونـان ولا الرومـان شيئـاً عن الـديمقـراطيـة عـلى الاطلاق . وعلاقتها الوحيدة بالكلاسيكيات هي أصلها . والفرصة الوحيدة التي حدث فيها شيء يشبهها في العالم الكـلاسيكي كانت لفترة ٢٠ الى ٣٠ سنة في اثينا وباستثناء اعطائنا معبد البارثينون فقد كانت كارثة ، وحتى في تلك الفترة كان « الناس » يستثنـون النساء والغرباء وغير المواطنين.و(خاصة) الكلاب . ومغالطة الديمقراطية اخترعها ارستقراطي منفي ، توسيدادس في تأبين پريكَليس (وهي ملفقة كذلك) وكانت الديمقراطية الاثينية مقسمة كلياً الى طبقات ، ولم يكن من الأمور الطيبة ان يولد المرء من الطبقات الدنيا ، اذ كان من المحتمل ان الأمر سينتهي به وهو يجذف في سفينة في كـل من جانبيها ثلاثة صفوف من المجاذيف عندما يقرع احد الارستقراطيين طبلاً ويطقطق سوطاً .

كانت « الديمقراطية » دائماً في ايدي قادة عسكريين ارستقراطيين اغبياء الى درجة لا تصدق او زعماء الدهماء رديئي التربية الذين كانوا يقضون معظم اوقاتهم يمضغون الثوم ويشربون العرق تحت اشجار الزيتون . لم يزدهر العالم الكلاسيكي في ظل الديمقراطية ، بل في ظل الطغيان ، وهذه عبرة لا تخفى كلياً على بعض السياسيين المعاصرين .

٢) الجنس (لا لزوم للإيضاح - المترجم)

٣) كره النساء

كانت الهة اليونان الاصلية هي غايا ، الأرض الأم ، كما كان الرومان متحمسين جداً لعذارى ڤستا (ربة نار الموقد عندهم) اللواتي كن في الحقيقة منحرفات ، وهكذا كان العالم الكلاسيكي يديره كارهو النساء لكارهي النساء . ويقول ارسطو في كتابه « السياسة » ان الذكر بالطبيعة ارفع منزلة من الانثى لذلك يجب ان يحكمها .

٤) العبودية

اتخذ اليونان والرومان مسلكاً قوياً تجاهها خاصة في اثينا « الديمقراطية » ، وقد وصف ارسطو طريقة العيش للعبيد بأنها « عمل وعقاب وطعام » وحصل العالم الكلاسيكي على اثنين منها ، وهو امر ليس رديئاً ، فقد نسي الطعام ؛ على ان ارسطو كان بعيداً عن الواقع الى حد ما ، على ان الرومان كان عندهم مثل يقول : « كل عبد عدو » - وكانوا على حق .

يجب ان يركّز على « الطبيعة اليوطوبية المثالية » لثورات العبيد

المتواصلة في العهد القديم (سپارتاكوس ضروري) . منتقلة من هناك الى ماركس والورطة الوجودية ، والحفّارين (الهنود الحمر الذين يعيشون على جذور النباتات المستخرجة من الأرض) ومحطمي الماكينات (جماعة من العمال الانكليز عمدت في اوائل القرن الماضي الى تحطيم ماكنات المصانع لاعتقادها بأن استعمال هذه الماكينات سوف يؤدي الى تناقص الطلب على الأيدي العاملة) وتحويل الشرطة الى مؤسسات خاصة .

سوف تشير صورة ساخرة الى ان عبيد العصر القديم لم يعترضوا على العبودية بحد ذاتها ، بل كان كل ما ارادوه هو ان يكونوا احراراً .

كان الجميع يعتبرون مبدأ العبودية سلبياً ، ربما كانوا على حق ، على ان خبيراً قانونياً رومانياً قال بأنه حسب القانون الطبيعي يولد جميع الناس احراراً ، واسرع قائلاً ان العبودية موجودة حسب قانون الأمم . لكن الرواقيين علموا بأن جميع الناس ومن ضمنهم العبيد هم اخوان ، لكن خير الانسان روحي تماماً وان العبودية لا تعيق كون الانسان سيداً لنفسه .

وكما علّق ذلك الفيلسوف الرواقي العظيم والمرائي سنيكا (الرسالة رقم ٨٠) : « عندما تشتري حصاناً تأمر بأن يزال دثاره ، وهكذا ايضاً تنزع ثياب العبد » .

لم يكن المسيحيون افضل . فالقديس بولس طلب من العبيد ألا يقلقوا بشأن اوضاعهم وعندما اصبحت المسيحية الديانة الرسمية للدولة لم تدافع الكنيسة عن الغاء العبودية بل اتخذت عبيداً لها ، وطائفة المونيين لا تزال حتى اليوم تحافظ على هذا التقليد .

٥) الطغيان

يجب ان تدافع عنه ، وتمدحه وتصحح الديمقراطيين المعاصرين الذين يهاجمونه ؛ اذ لا شيء ذا قيمة في العالم الكلاسيكي ثم بدونه . ورأي افلاطون بأن الطغيان أسوأ انواع الحكم سبب كافٍ لكي تمدحه .

كما يحدث مرات عديدة ، فإن العالم الكلاسيكي قد اتقنه اما نحن فقد افسدناه . يجب ان تبدي اعجابك بجميع الطغاة ، ربما باستثناء پيتاكوس من مايتيلين الذي فرض غرامات مضاعفة للجرائم التي كان يرتكبها الانسان وهو سكران .

٦) الجمـــال

كان للورنس ديوريل في المدرسة معلم للغة اليونانية كان يمسك صورة بالية لڤينوس دي ميلو ، ويخبط بقبضة يده على طاولته ويقول : « ماذا تظنون انهم كانوا يحاولون ان يعملوا ؟ كانوا يسألون انفسهم عن طبيعة الجمال وفيما اذا كان يتكون من التناسب بين اعضاء الجسم » .

عليك ان تقول بأن عصرنا لا يستطيع حتى ان يوجّه الاسئلة الصحيحة ، ففي فلسفتهم ، وشعرهم ومبانيهم العظيمة سعى اليونان للتوصل الى ما هو جميل ، وحتى الرومان كان لديهم الادراك لأن يبقوا على الطرق اليونانية . إدّعِ انه لا يوجد شعر ابدع من شعر پندار ، ولا مبنى اكثر اتقاناً من معبد الپارثينون ، ولا اسئلة اكثر ذكاء من اسئلة سقراط . وفي هذه الأثناء تستمر جمعية مؤرخي الفن في التباحث ومخاطبة الناس قائلة : « ان منظوراً مختلفاً يمكنه ان يقترح بأن الفن يجب ان يُبعد عن مركزه لكي يعاد وضع الخيال ضمن رابطة دوائر متشابكة » !

كيـــف ؟

كيف عملوا ذلك ؟ بالطبع بكونهم طغاة ومستعبدين وكارهين للنساء ولم يكونوا ديمقراطيين ابداً ، اعترف مع ذلك ان عدة عوامل اخرى تمس الموضوع .

١) الوحي الالهي ، البشير / النذير والعرافة

كلما كان طاغية / مستبداً / كارهاً للنساء/ لا ديمقراطي يريد ان يبرر عمله ، كان يجعل وحياً الهياً / بشيراً / عرافاً يقول ان ذلك أمر جيد . وثلاث نقاط توضح وجهة نظرك :

أ) كان كروسوس غير متأكد من صواب او خطأ عبور نهرها ليس لمهاجمة بلاد الفرس ، لهذا سأل عرّافه دلفي . وعندما اجابته بأنه اذا عبر النهر فإنه سيقضي على امبراطورية قوية ؛ فعبر النهر وفعلاً دمّر امبراطورية قوية ـ كانت لسوء الحظ امبراطوريته .

ب) عندما ظهر ان الفرس كانوا على وشك تدمير اثينا ، نصح عرّافو دلفي الاثينيين بأن « يثقوا بأسوارهم الخشبية » . ظن البعض ان المقصود هو سور الاوتاد الخشبية المحيط بمعبد الاكروبول في اثينا ، وكانوا مخطئين . بينما ظن الآخرون ان المقصود هو الاسطول اليوناني وكانوا على حق ولكن ذلك لم يكن عزاء لأولئك الذين قضي عليهم عندما احتل الفرس معبد الاكروبول ونهبوه رغم جميع اسواره الخشبية .

جـ ـ عندما اراد الأميرال الروماني مانليوس ڤلصو ، او ربما كان ايتليوس رغيولوس ، مفرطاً في رغبته بمهاجمة اسطول قرطجني آخر والحصول على بعض الارقاء الجدد ، كان العُرف يتطلب منه ان يستشير الفراريج المقدسة التي كانت تغوط على سطح مرتفع عند مؤخرة سفينته فإذا اكلت الحنطة (المقدسة) التي تلقى لها فهذا فأل حسن وعليه ان يهاجم ، واذا لم تأكلها ، ويجب ألا يهاجم ؛ وعندما لم تلمس الفراريج الحنطة ، أمر ماتليوس ، او آيليوس بالقائها في البحر قائلاً : طالما انها رفضت الأكل ، فلتشرب » وخسر المعركة .

٢) الجيــوش

عندما كان اليونان والرومان لا يقتلون اعداءهم ، كانوا يتمتعون تماماً بقتل بعضهم البعض ؛ وكلما كان ذلك ممكناً ، كانوا يستعملون الجيوش . لهذا اعطونا الكتائب ، ونواب وكلاء مارشالات الجو والرواتب التقاعدية المربوطة بدليل غلاء المعيشة والمحاربين اليونانيين المشاة المدججين بالسلاح والفيالق وجماعات الصحفيين وحروب النجوم .

٣) الخطابــة

كان اليونان والرومان (وما زالوا) يحبون الحديث ، ويدعونه خطابة . عُهد بتعليم اخيل الى ڤينكس ، الذي طلب منه ان يعلم اخيل بأن يكون « صانع خطب وعامل اعمال » .

عندما لم يكونوا يتحاربون كانوا يلقون خطباً طويلة لا نهاية لها على ، وعن : بعضهم البعض ، الديمقراطية ، كاتيلين ، الحرية ـ الجنس ، تمويل الحكومة المحلية وغيرها من الأمور المتكررة . وبما ان الافعال في اللغتين تأتي في أواخر الجمل (باستثناء اعمال ايسكيللاس

وشيشرون اللذين لم يهتما بالأفعال الرئيسية على الاطلاق) فقد طوروا اشياء تعرف بأسماء الفاعل وأسماء المفعول وربطوها ببعضها البعض دون استعمال حروف العطف مكونين اجزاء جُمل لا تنتهي ، وهكذا كان بإمكانهم ان يتكلموا ساعات قبل ان تتكون لأي مستمع اية فكرة عما يقولونه .

ان السياسيين العصريين يعملون بالطبع نفس الشيء الى حد كبير ، ولكن بصورة رديئة .. انهم يجهلون حذف الكلمات التي يستطيع السامع (او القارىء) تقديرها بسهولة ، لكنهم يتوسعون في استعمال كلمات لا لزوم لها وخاصة كلمة « موقف » ؛ ومن المؤكد انهم اكتشفوا المبالغة والحشو لكنهم يجهلون كذلك الطريقة الضدية في التعبير (التي يعبر فيها عن الموجب بضده السلبي) والمجاز المرسل .

تمرن ديموستنيس على خطبه بوضع حصوة في كل خد ومخاطبة طيور النورس ، وخطبه المعروفة باسم « الفيليبية » شهيرة بكونها منمقة . اما شيشرون فقد اكتشف الفرق بين « الخطابة المستقيمة » وكانت مؤلمة ، و« الخطابة المائلة » التي كانت غير مفهومة .

٤) النفي (من غير تهمة او محاكمة)

طوره اليونان واتقنه الرومان ـ ربما يجب علينا ان نعيد ادخاله ؛ كان اسلوباً لنفي الأفراد غير المحبوبين لمدة عشرة اعوام لأماكن مثل ارغوس على البحر الأسود . كان المواطنون يكتبون اسم من يودون ان ينفى على قطع من الفخار ، اما الرومان فقد تخلوا عن هذه القطعة من التصويت ومارسوا النفي ـ فقد كانوا ذوي كفاءة .

٥) الفن

كان اليونان ماهرين فيه ، وكان الرومان ماهرين في نسخه ، قل

بأننا لا نستطيع ان نتقن أيّاً من هاتين الوسيلتين . جادل بـأن قوة ونبضان الفن اليوناني نابعان من مصالحته بين ضبط المقابلة (عكس الطباق في البديع) من ناحية ، والعاطفة من الناحية الأخرى ؛ وأكد ان فن القدماء كان متقناً الى حد كبير لأنه كان مضبوطاً بذكاء كبير .

لن تستطيع الفوز لفترة طويلة إلا بهذه التعميمات . انك ستعرف بأنه « لا يوجد اي فرع من الفن في اليونان القديمة دون تحفة » - ان البروفيسور بوردمان يقول ذلك وهو ليس المانياً ؛ ومما يلفت النظر الى أبعد الحدود ان قلة كهذه انتجت نطاقاً وتنوعاً الى هذا الحد سواء كان في الفن المعماري او الحلي او النحت او المزهريات ، او الأدب او الرسم او النواويس .

انك تعرف الفرق بين المزهريات الاتيكية السوداء والمزهريات الحمراء . ان الاولى مدهونة بـالأسود امـا الثانيـة فبالأحمـر . اتقن الحقائق التي تشير الى المهارة : ان تمثال ابوللو البرونزي الضخم في رودس (الكولوتسوس) كان بارتفاع ٣٣ ياردة وهدمه زلزال . وبعد ذلك بأكثر من الف عام دعت الحاجة لاستعمال قافلة من ١٠٠٠ جمل لنقل المعدن الخردة .

سوف تسمع العديدين يقولون بأن مساهمـة روما للفن كـانت القوس ؛ انهم مخطئون ، فقد عرف اليونان كل شيء عنه واستعملوه احياناً ، لكنهم على وجه العموم تجنبوه لأسباب جمالية . وبدلاً منه اعطانا الرومان الخرسانة ، التي لا تجعلنا ندين لهم بالجميل .

لا يمكنك ان تفعل شيئاً اسوأ من التخصص في تفاصيل طرز البناء واشكال الأعمدة والقطع المنحـوتة التي تـوضع عـلى رؤوسها والافاريز والنتوءات والأخاديد الثلاثـة والحروف الحـادة عند ملتقى

السطوح ، الى غير ذلك . فمعرفة قليلة تتيح لك ان تفضل الطراز الدوري وخاصة ابدع تعبير عنه ، معبد البارثينون الذي يحتوي على بعض العناصر الايونية ؛ وربما تحتقر الطراز الكورنثي ، ربما فقط لأن ڤتروڤيوس (ازدهر عام ٣٠ ق.م) يقول بأن من اخترعه هو كاليماخوس ، وهو عامل برونز اوحى اليه بذلك منظر نبتة اقنتوس تنمو حول سلة .

استعمل عبارة « ثم توقف الفن » - وهي عبارة تطبيقية قالها العلامة الروماني پليني (٢٤ - ٧٩ ب.م) مسجلاً مسار الفن اليوناني بعد انجازات النحات ليسيبوس (ازدهر عام ٣٢٠ ق.م) وهكذا فإن پليني اودى بجميع الفنانين الذين لا يحصون والذين عملوا اثناء حكم الملوك الهلينيين الى عالم النسيان كان على حق ، وهكذا انت .

٦) اللغة وبحور الشعر

ان اللغة اليونانية ، كابنة عمها اللغة اللاتينية هي لغة واسعة التصريف وإعرابها معقد للغاية ، لقد اكتشف الكثيرون ذلك مما سبب احزانهم . من طبيعة اللغة اليونانية ان تعبر بدقة عظيمة عن الأشياء التي هي بطبيعتها غير دقيقة والتي لا يستطيع من لا يتقنون البلف ان يعبروا عنها في اية لغة . وهذه ليست فقط العلاقات بين الأفكار بل ظلال المعاني والعواطف كذلك .

على ان بامكانك ان تسير بعيداً اذا فهمت بأن مفتاح اللغة اليونانية والى حد اقل اللغة اللاتينية هو اسم الفاعل او اسم المفعول . والفعل اليوناني المنتظم (يوجد القليل منها ، ومعظمها غير منتظمة بدرجة فظيعة) له ١٠ من تلك الاسماء ، يقابلها في اللغة اللاتينية ٣ .

لا تجد في اللغة اليونانية الغموض الذي تنحرف اليه اللغة الانكليزية والذي قلما تخرج منه اللغة الالمانية . والسر هو ان تعثر على الفعل الرئيسي (حينما يوجد) وتتعلق به ماراً عبر متاهات اشباه الجمل واسماء الفاعل واسماء المفعول والفكر ، وذلك بالحقيقة يشبه رياضة ركوب الأمواج المتكسرة على لوح مخصوص .

على ان لبحور الشعر قصة اخرى وتستحق ساعات من البلف الرائع . ابدأ بالقول بأن الغرب لا يستطيع ان يفهم « الشعر الكمي » لليونان والرومان والشرق لأن شعرنا « مضغوط » نسبياً . ثم تحول الى شعر اليونان المعقد كثيراً حيث تتطلب الأفكار المعقدة بحوراً معقدة ، او هل الأمر على العكس ؟

ان بعض بحور الشعر اليوناني معقدة بحيث يجب ألا تبحثها مطولاً إلا في المناسبات التي لا ترغب ان تدعى اليها ثانية .

٧) الفكر

عليك الآن ان تبين فرقاً هاماً وهو أن اليونان كانوا يستطيعون ان يفكروا وقد فعلوا ذلك ، اما الرومان فلم يستطيعوا التفكير وبهذا فهم يشبهون كثيراً معاصرينا . ان فكر العالم الكلاسيكي الذي شكل الغرب وكون افضل ما نحن فيه هو يوناني على وجه الحصر ؛ اعلن ان روما لم تنتج اي فكر اصلي او فلسفة اصلية .

كان اليونان دائماً يفكرون بالعدالة والجمال والحق والالهة والرياضيات والفيزياء وفن المعمار والطب ، وعندما كانوا لا يجدون ما يفكرون به ، كانوا يفكرون بالفكر .

ان موضوع « الفكر » اليوناني صعب وواسع وممل جداً بالنسبة

لبلاف جدي . وبدلاً من ذلك ركز على مثل من قسم من الكل ، على مفهوم كلمة « لوغوص » ، المثقلة بالمعاني بحيث ان اليونان انفسهم كان عليهم ان يفكروا بها ملياً . يمكنك ان تبلف ساعات بشأنها اذ لا يستطيع أحد أن يناقضك . انها في آن واحد الفكرة التي يعبر بها عن فكرة داخلية ، وتلك الفكرة الداخلية نفسها . ثم تستطرد حالاً الى تشومسكي وعلم دلالات الألفاظ وتطورها . كما ان الكلمة تعني مئة شيء وشيء ـ حساب ، حذر ، حالة ، قياس التمثيل وتأمل ـ عندما تستطيع ان تتذكرها .

كان هيراكليتوس هو اول من استعمل الكلمة للدلالة على قانون الطبيعة المفهوم ؛ ثم زاد الرواقيون ، او ربما حتى زينو هذا المعنى العويص ، شاملاً جميع العالم الطبيعي بعبارة « اورثوس لوغوص » . استطرد حالاً الى انجيل القديس يوحنا « في البدء كانت الكلمة » ـ ثم الى مخطوطات البحر الميت ونظرية افلاطون عن نشأة الكون في « تيمايوس » ، وتعديل مدارس الاسكندرية . أعطِ رأيك كما يلي : « وهكذا ترون كان هناك توحيد مبهم مدمج مع ايمان اصلي بتعدد الالهة » .

والآن عزز وجهة نظرك الأولى بالتكرار ، ولتكن خلاصة حجتك ان الفكر اليوناني كان ذكياً جداً بحيث بحث في كل شيء وفحصه واستطلعه ، ومن ضمن ذلك حقه في الاستطلاع . ولا يقترب العالم الحديث من المثل اليوناني إلا في تعليمه للرياضيات حيث يكون الشيء الهام هو توجيه الاسئلة الصحيحة بدلاً من الحصول على الأجوبة الصحيحة ، ولكن عندها لماذا يكون الأمر كذلك ؟ ولماذا لا يكون كذلك ؟ وما هو ؟ وما هو « فعل الكينونة » ؟ ـ ان الأمر بهذه البساطة .

لمـــاذا ؟

ليس من الأمـور الجيدة ان تجيب « ولمـاذا لا ؟ » ـ انـه سؤال سقراطي اكثر مما يجب . يجب على كل بلاف جيد ان يعطي هـذا السؤال السخيف اعتباراً جدياً مبجلاً ، وعلى اي حال فإن العديد من الناس المحترمين في جامعات غامضة يكتبون اطروحات لا تنتهي في مواضيع « روح العصر الكلاسيكي والمشاكل الاقتصادية الاجتماعية في البانيا » ، الى غير ذلك .

هذه الكتابات المفككة تحتوي ، من ضمن ما تحتويه ، وعندما يستطيع الانسان ان يجد فعلاً رئيسياً او بالحقيقة اي فعل ، اطروحات اسهالية في البحث عن كلمات واشيـاء اخرى لا يستـطيع احـد ان يفهمها ـ ساعين للحصول منها على عنصر الكلاسيكيات .

اكد ان هذا هدر كلي : فقد استمر العـالم الكلاسيكي طـوال الفترة التي فهم فيها انه لا يستطيع ان يفهم شيئاً ، وانتج البعض الذين فهموا هذه الحقيقة والبعض الذين لم يفهموها ، وبهذا ابقوا العرض على الطريق : المنغمسون في الملذات والمنحرفون جنسياً ، والكلبيون والساخرون والمعربدون والرواقيون وافراد اخرون لا حصر لهم يسألون : « الى اين نحن ذاهبون ؟ » لماذا نحن ذاهبون هناك ؟ » « ما هو الخير ؟ » ـ ولا يصلون الى جواب ابداً .

عندما أقر العالم الكلاسيكي اخيراً انه لا يستطيـع ان يفهم ،

تخلى عن دوره وسلم عصا المارشالية للقوط ، واشباه القوط ، والقوط الشرقيين والفندال واتاحت العصور الوسطى لكلمة « لوغوص » ، ان تنام نوماً هنيئاً قبل قيام عصر النهضة ، والكلاسيكية والكلاسيكية الجديدة والعلماء الالمان باثارة الموضوع بكامله مرة ثانية . وكما يقول پندار : « ما هو الانسان ؟ » وما ليس هو؟ ان الانسان خيال حلم » .

المرشد إلى الكلاسيكيات

■ سلسلة المرشد

صدر منها



المؤسسة العربية للدراسات والنشر
ARAB INSTITUTE FOR RESEARCH AND PUBLISHING

بيروت، ساقية الجنزير، بناية برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١، العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٧٩٠٠/١، تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

الغلاف: زهير أبو شايب ●